السير إلى الله تعالى بين الغلاة والجفاة (دراسة عقدية)

د. عبد الله ضيف الله آل حوفان

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

adhofan@uqu.edu.sa

Approaching Allah, the Almighty, between extremists and obstinates: a doctrinal study

Dr. Abdullah Dheifullah Al Hofan

Associate Professor, Department of Doctrine, Faculty of Dawah and Foundations of Religion, Umm Al-Qura University

ملخص البحث:

إن الغاية من هذا البحث هي بيان الطريق الحق الموصل إلى الله تعالى ومن انحرفوا عنه غلواً أو جفاءً، إفراطاً او تفريطاً.

وقد ذكرنا أن المراد بالسير إلى الله تعالى: هو وصف للطريق الموصلة إلى رضى الله جل وعلا، وأسباب تحصيل ذلك.

وأهمية السير إلى الله تعالى والنصوص الكثيرة التي دلت عليه، وكلمات العلماء ومؤلفاتهم في الحث على هذه الطريق وتفصيل مراحلها وبيان حقيقتها.

وأن المخالفين لأهل السنة في مسائل السير إلى الله تعالى طرفان: طرف قصّر وأهمل، وطرف غلا فيها وبالغ.

وأن من أسباب الانحراف في السير إلى الله تعالى: الجهل، واتّباع الهوى، والتأثر بالديانات الأخرى، وظهور الشبهات التي تحول دونه.

وأكّدنا على أن الواجب هو السير إلى الله تعالى دون مبالغة أو إهمال.

الكلمات المفتاحية: طريق الله، السير إلى الله، التشدد، خواء الروح.

Abstract:

This article aims to clarify the true path that leads to Allah, the Almighty, and those who have deviated from it in terms of extremism or estrangement, exaggeration or negligence.

We have pointed out that approaching Allah, the Almighty, is to describe the path that leads to Allah's satisfaction and how to achieve it.

We have also clarified the importance of approaching Allah and the many texts that indicated it, and the scholars' opinions and writings in going in this path and detailing its stages and explaining its truth.

Those who oppose the Sunnis in matters of approaching Allah are of two types: the first falls short and neglects it, and the second is stubborn and exaggerating.

There are several causes of deviation from the path to Allah including ignorance, following whims, being influenced by other religions, and the emergence of suspicions, among others. We have also recommended that the duty is to approach Allah without exaggeration or negligence.

Keywords: The path to Allah, approaching Allah, extremism, emptiness of soul.

المقدمة:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،،،،، أما بعد:

فالسير إلى الله تعالى والهجرة إليه من المقاصد العالية والغايات النبيلة التي بينتها نصوص الوحي؛ كما ذكر الله جل وعلا عن إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ العنكبوت: ٢٦ وقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ الصافات: ٩٩.

والنبي ﷺ يقول: (...كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها)[١]، يقول ابن القيم رحمه الله: [فأعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمّته لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح][٢].

والسير إلى الله تعالى هو قَدَرُ كل عبد؛ فالكل إلى الله سائر، وإليه راجع، ثم يحاسب كلٌّ على ما عمل، وكثير من التصورات أو التصديقات تكون عرضة للمبالغة فيها أو الإعراض عنها، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

وهذا البحث يتناول بيان هذا السير، وذكر أحوال الغلاة فيه والجفاة عنه، وأسباب الانحراف في ذلك.

*** أهمية البحث وأسباب اختياره:**

١) أهمية السير إلى الله تعالى واهتمام السلف به بياناً وتأصيلاً وتأليفاً.

٢) كشف مظاهر الغلو فيه لدى من تكلم عنه أو كتب فيه وأسباب ذلك.

٣) التنبيه على صور الجفاء عنه وعدم الاهتمام به لدى فئام من الناس وأسباب ذلك.

٤) غفلة كثير من المسلمين عن هذا الباب وقلة الاهتمام به مع أهميته وتأثيره فيما سواه.

٥) ما نلحظه اليوم من اختلال الموازين واضطراب القيم؛ مما يحتّم علينا التذكير بمعالم الطريق ومنارات الصراط المستقيم.

٦) غلبة المادية في هذا العصر وانحسار الاهتمام بالإيمانيات والجوانب الروحية.

٧) كثرة المخالفين ممن كتب فيه لا سيما مع ما نشهده من دعم للصوفية وإظهارهم بأنهم الأنموذج للإسلام الصحيح[٣].

*** أهداف البحث:**

١. بيان معنى السير إلى الله تعالى وأوجه أهميته.

٢. بيان أحوال الغلاة في السير إلى الله تعالى وأسباب انحرافهم.

٣. بيان أحوال الجفاة في السير إلى الله تعالى وأسباب انحرافهم.

*** الدراسات السابقة:**

لم أجد من أفرد هذا الموضوع ببحث حسب اطلاعي وبحثي المتأنّ.

*** حدود البحث:**

سيكون البحث من خلال نصوص الكتاب والسنة وكلام علماء المسلمين وكتاباتهم في هذا الموضوع.

*** منهج كتابة البحث:**

يعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، وعملي في هذا البحث يتمثل في:

١. رجعت لنصوص الوحي وكتب علماء المسلمين: وجمعت منها ما يتعلق بموضوع في السير إلى الله تعالى.

٢. قدّمت بمقدمات عن المراد بالسير إلى الله تعالى وأهميته وتأصيله وتاريخ الكتابة فيه.

٣. جمعت كلام المخالفين إفراطاً أو تفريطاً وتلمّست أسباب الخلاف في السير إلى الله تعالى.

٤. ختمت بخاتمة بيّنت فيها أهم النتائج والتوصيات وبفهرس للمراجع.

*** خطة البحث:**

قسّمت البحث إلى: مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس للمراجع:

- المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وحدوده ومنهجه وخطته.
- المبحث الأول: السير إلى الله تعالى (تعريفاً وأهمية وتأصيلاً وتأليفاً).
- المبحث الثاني: أحوال الغلاة في السير إلى الله تعالى وأسباب انحرافهم.
- المبحث الثالث: أحوال الجفاة في السير إلى الله تعالى وأسباب انحرافهم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

المبحث الأول: السير إلى الله تعالى (تعريفاً وأهمية وتأصيلاً وتأليفاً)

المطلب الأول: التعريف بالسير إلى الله تعالى وأهميته:

أولاً: المعنى اللغوي:

قال ابن فارس رحمه الله: [السين والياء والراء أصلٌ يدل على مضيٍ وجَرَيان، يقال سار يسير سيراً، وذلك يكون ليلاً ونهاراً. والسيرة: الطريقة في الشيء والسُّنّة، لأنها تسير وتجري] (٤).

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (كان رسول الله ﷺ يجمع بين صلاة الظهر والعصر، إذا كان على ظهر سير، ويجمع بين المغرب والعشاء)(٥). فالسير هو المضيّ في الطريق وقطع مراحله مرحلة بعد مرحلة.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

هو وصف للطريق الموصلة إلى رضا الله جل وعلا، وأسباب تحصيل ذلك.

يقول ابن القيم رحمه الله: [العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه، ومدة سفره هي عمره الذي كُتب له، فالعمر هو مدة سفر الإنسان في هذه الدار إلى ربه تعالى، ثم قد جعلت الأيام والليالي مراحل لسفره: فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهى السفر](٦).

ويقول ابن رجب رحمه الله: [والطريق إلى الله هو سلوك صراطه المستقيم، الذي بعث الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وأمر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه](٧).

ويقول ابن الأثير رحمه الله: [فالسبيل: في الأصل الطريق... وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سُلك به طريق التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات](٨). فهو: بيان للطريق الموصل لرضا الحق تبارك وتعالى، والسبيل إلى النجاة من الزيغ والضلال عن هذا السبيل.

ثالثاً: أهمية السير إلى الله تعالى:

للسير إلى الله تبارك وتعالى أهمية كبرى ومنزلة عليا، ومن أبرز ما تتجلى فيه هذه الأهمية ما يلي:

١. السير إلى الله تعالى متعلق بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات تعظيماً لله جل وعلا وتوكلاً عليه وحسن ظن به، ومتعلق بتوحيد الألوهية تعبّداً وسلوكاً.

٢. السير إلى الله تعالى متعلق بالإيمان زيادة ونقصاً، قوة وضعفاً، وله آثاره الجليّة في حياة المسلم وسلوكه.

٣. السير إلى الله تعالى سبب للطمأنينة والسعادة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨

يقول عبد الله بن المبارك: [أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعّموا أطيب ما فيها، قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله عز وجل](٩).

ويقول ابن القيم رحمه الله: [ففي القلب شعث، لا يلمه إلا الإقبال على الله. وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات: لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد: لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه، وفيه فاقة: لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له. ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدا](١٠).

٤. أن من غايات بعثة الرسل: تزكية النفوس: وقد قال جل وعلا عن موسى عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ النازعات: ١٦ – ١٩

وقال عن محمد ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ الجمعة: ٢

وقال تعالى بعد أحد عشر قسماً: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ الشمس: ١ – ١٠

والنبي ﷺ كان يدعو الله تعالى أن يزكّي نفسه: يقول زيد بن أرقم رضي الله عنه: (لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول:... اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها...)(١١).

يقول ابن الوزير اليمني رحمه الله: [واعلم أن جمع القلب على الله تعالى وعلى مراده منّا ونسيان ما سوى ذلك هو: مراد الأنبياء والأولياء](١٢).

ويبين ابن تيمية رحمه الله أقسام الناس في عمل الظاهر والباطن فيقول: [غالب الفقهاء إنما يتكلمون به في الطاعات الشرعية مع العقلية، وغالب الصوفية إنما يتّبعون الطاعات المِلّية مع العقلية، وغالب المتفلسفة يقفون على الطاعات العقلية، ولهذا كَثُرَ في المتفقهة من ينحرف عن طاعات القلب وعباداته، من الإخلاص

لله والتوكل عليه والمحبة له والخشية له ونحو ذلك، وَكَثُرَ في المتفقّرة والمتصوفة من ينحرف عن الطاعات الشرعية، فلا يبالون إذا حصل لهم توحيد القلب وتألّهه أن يكون ما أوجبه الله من الصلوات وشرعه من أنواع القراءة والذكر والدعوات أن يتناولوا ما حرم الله من المطاعم وأن يتعبدوا بالعبادات البدعية من الرهبانية ونحوها، ويعتاضوا بسماع المكاء والتصدية عن سماع القرآن، وأن يقفوا مع الحقيقة القدرية، مُعْرِضين عن الأمر والنهي](١٣).

المطلب الثاني: تأصيل السير إلى الله تعالى:

جاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وكذا كلام السلف فيما يتعلق بموضوع السير إلى الله تعالى على أوجه متنوعة، منها ما يلي:

١- نصوص تدل على أن الدنيا قصيرة زائلة، يقطعها المؤمن ليصل إلى جنات رب العالمين، ومنها:

قوله جل وعلا: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام: ٣٢

ومنها: ما حكاه الله تعالى عن سحرة فرعون بعد أن هددهم بالقتل: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ طه: ٧٢ - ٧٣

٢- نصوص تبين أن حياة الإنسان عبارة عن مراحل يقطعها مرحلة بعد مرحلة، ومنها:

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ غافر: ٦٧

وقوله جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنون: ١٢ - ١٦

٣- نصوص تذّكر المؤمن بأنه في الدنيا في حال سفر، وأنه سائر لدار أخرى غير هذه الدار، ومنها: حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)[١٤].

وقوله ﷺ : (ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)[١٥].

يقول ابن القيم رحمه الله: [المثال الخامس: للدنيا وأهلها ما مثّلها به النبي كظل شجرة، والمرء مسافر فيها إلى الله، فاستظل في ظل تلك الشجرة في يوم صائف ثم راح وتركها، فتأمل حسن هذا المثال ومطابقته للواقع سواء، فإنها في خضرتها كشجرة، وفي سرعة انقضائها وقبضها شيئاً فشيئاً: كالظل، والعبد مسافر إلى ربه، والمسافر إذا رأى شجرة في يوم صائف لا يحسن به أن يبني تحتها داراً ولا يتخذها قراراً؛ بل يستظل بها بقدر الحاجة، ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرفاق][١٦].

٤- نصوص توجّه المؤمن للعمل واستثمار عمره فيما ينفعه بعد انقضاء سفره وتصرّم أيامه ولياليه، ومنها: قوله تعالى ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ الحديد: ٢١

وقوله عز من قائل: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٣

وقوله ﷺ : (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة)[١٧].

وقوله ﷺ : (إن الدين يسر، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبهُ، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)[١٨].

٥- نصوص توجّه المؤمن لصحبة المجدّين في السير إلى الله تعالى وتحذّر من الاغترار بالدنيا والتعلّق بها، ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ الكهف: ٢٨.

وقوله تعالى: ﴿ .... وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ لقمان: ١٥.

٦- **نصوص تؤكد بأن نهاية هذا المسير هو القدوم إلى الله تعالى وأن إليه المرجع وعليه الحساب،** ومنها: قوله تبارك وتعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ الحديد: ٢٠

وقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ النجم: ٣٩-٤٢

وقوله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ الانشقاق: ٦

وقول الرسول ﷺ : (...كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها)[١٩].

ويقول ابن القيم رحمه الله في تفسير قوله تعالى: [﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾: فليس وراءه سبحانه غاية تُطلب، وليس دونه غاية إليها المنتهى، وتحت هذا سر عظيم من أسرار التوحيد: وهو أن القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يُحب ويُراد فمراد لغيره، وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحداً إليه المنتهى، ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين][٢٠].

٧- **نصوص تنصّ على السير إلى الله تعالى والهجرة إليه،** ومنها:

قوله تعالى عن الخليل عليه السلام: ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ العنكبوت: ٢٦

وقال: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ الصافات: ٩٩.

وكذلك يدخل فيه كل النصوص التي في الهجرة، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ النساء: ١٠٠.

وقوله ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)[٢١].

٨- **نصوص كثيرة مروية عن أئمة السلف رحمهم الله وهم يذكرون مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة: لا ينسون ذكر الجانب السلوكي وما يتعلق بتزكية النفس وأعمال القلوب والتعبد وحسن الخلق،** ومن ذلك:

أ- يقول أبو بكر الإسماعيلي (ت ٣٧١ هـ) في اعتقاد أهل السنة: [ويرون مجانبة البدعة والآثام، والفخر والتكبر والعجب، والخيانة والدغل، والاغتيال والسعاية، ويرون كف الأذى، وترك الغيبة إلا لمن أظهر بدعة وهوى يدعو إليهما، فالقول فيه ليس بغيبة عندهم... والتعفف في المأكل والمشرب والملبس، والسعي في عمل الخير....][٢٢].

ب- يقول الصابوني رحمه الله (ت ٤٤٩هـ) بعد أن ذكر عقيدة السلف: [ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات.... ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين، والتعفف في المأكل والمشرب والمنكح والملبس، والسعي في الخيرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع، واتّقاء سوء عاقبة الطمع، ويتواصون بالحق والصبر، ويتحابّون في الدين ويتباغضون فيه، ويتّقون الجدال في الله والخصومات فيه، ويُجانبون أهل البدع والضلالات، ويُعادُون أصحاب الأهواء والجهالات][٢٣].

ج- يقول قوام السنة الأصفهاني رحمه الله (ت ٥٣٥هـ): [ومن مذهب أهل السنة: التورع في المآكل والمشارب والمناكح، والتحرز من الفواحش والقبائح، والتحريض على التحابّ في الله عز وجل، واتّقاء الجدال والمنازعة في أصول الدين، ومجانبة أهل الأهواء والضلالة، وهجرهم ومباينتهم، والقيام بوفاء العهد والأمانة، والخروج من المظالم والتبعات، وغضّ الطرف عن الريبة والحرمات، ومنع النفس عن الشهوات، وترك شهادة الزور وقذف المحصنات، وإمساك اللسان عن الغيبة والبهتان، والفضول من الكلام وكظم الغيظ، والصفح عن زلل الإخوان، والمسابقة إلى فعل الخيرات، والإمساك عن الشبهات، وصلة الأرحام، ومواساة الضعفاء، والنصيحة في الله، والشفقة على خلق الله، والتهجد لقيام الليل، لا سيما لحملة القرآن، والبدار إلى أداء الصلوات][٢٤].

د- يحكي ابن تيمية رحمه الله (ت٧٢٨هـ) اعتقاد السلف فيقول: [ويأمرون بالصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قول النبي ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً: أحسنهم خلقاً)[٢٥]، ويندبون إلى أن تَصِلَ من قَطَعك وتُعطي من حَرَمك وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفسافها. وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره؛ فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة، وطريقتهم: هي دين الإسلام؛ الذي بعث الله به محمداً ﷺ][٢٦].

فكل هذه النصــوص تدل على أهمية الحديث عن الســير إلى الله تعالى وغايته ووســائله وما يجب أن يكون عليه هذا السائر، وما يحذر منه هذا المسافر حتى يصل إلى رضا مولاه، ويحصّل غايته ومبتغاه.

المطلب الثالث: تاريخ التأليف في السير إلى الله تعالى:

كَتَبَ العلماء – على اختلاف مشاربهم – قديماً وحديثاً في السير إلى الله تعالى وما يتعلق به، وإن كان إفراد هذا الموضوع بكتب قد جاء متأخراً، وهذا ما وجدته منها مرتَّباً حسب تسلسلها التاريخي:

١. الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم رحمه الله (ت ٤٥٦ هـ).
٢. منازل السائرين إلى الله تعالى لأبي إسماعيل الهروي رحمه الله (ت ٤٨١ هـ).
٣. الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين لأبي الفتوح الطائي الهمذاني رحمه الله (ت ٥٥٥هـ).
٤. الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل لعبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ).
٥. مفتاح طريق الأولياء لابن شيخ الحزامين رحمه الله (ت ٧١١ هـ).
٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم رحمه الله (ت ٧٥١ هـ).
٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم رحمه الله (ت ٧٥١ هـ).
٨. المحجة في سير الدلجة لابن رجب رحمه الله (ت ٧٩٥ هـ).
٩. شرح منظومة السير إلى الله تعالى لعبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله (ت١٣٧٦ هـ).
١٠. معالم في السلوك وتزكية النفوس لعبد العزيز بن محمد العبد اللطيف حفظه الله.
١١. أصول الوصول إلى الله تعالى لمحمد حسين يعقوب حفظه الله.
١٢. معالم في السير إلى الله لصالح بن محمد الأسمري حفظه الله.

- ومن العلماء من تطرق لتزكية النفوس وأعمال القلوب بشكل عام و**أفردها بكتب خاصة** تتحدث عنها، مثل:

١. كتب الحارث المحاسـبي (ت٢٤٣هـ): آداب النفوس ورسـالة المسـترشـدين والرعاية لحقوق الله عز وجل.

٢. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لأبي طالب المكي (ت٣٨٦هـ).

٣. إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ).

٤. بستان الواعظين لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ).

٥. مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل (مختصر رعاية المحاسبي) لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ).

٦. بستان العارفين للنووي (ت٦٧٦هـ).

٧. مختصر منهاج القاصدين لنجم الدين ابن قدامة (ت ٦٨٩هـ).

٨. كتب ابن القيم (ت٧٥١هـ): إغاثة اللهفان وعدة الصابرين والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.

٩. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب لمحمد بن أحمد السفاريني (ت١١٨٨هـ).

* ومنهم من **أفرد بعض مفرداتها بكتاب**، مثل:

١) عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ) في كتابه: الزهد والرقائق.

٢) أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) في كتابيه: الورع والزهد.

٣) أبو حاتم (ت٢٧٧هـ) في كتابه الزهد.

٤) ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ) في كتبه: الورع والتوكل على الله واليقين.

٥) ابن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ) في كتابه الزهد.

٦) الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) في كتابه الزهد والرقائق.

* ومنهم من **جعل له في كتابه أبواباً وفصولاً**، مثل:

١. الجامع لمعمر بن راشد (ت١٥٣هـ): [باب اليقين والوسوسة وباب زهد الصحابة].

٢. المصنف لابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ): [كتاب الزهد].

٣. السنن للدرامي (ت ٢٥٥هـ): [كتاب الرقاق].

٤. الجامع الصحيح للبخاري (ت٢٥٦هـ): [كتاب الرقاق].

٥. الصحيح لمسلم (ت٢٦١هـ): [كتاب الرقاق وكتاب التوبة وكتاب الزهد].

٦. سنن ابن ماجه (ت٢٧٣هـ): [كتاب الزهد].

٧. السنن لأبي داود (ت٢٧٥هـ): [كتاب الجنائز: (باب ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت) و (باب الصبر في المصيبة)].

٨. الجامع الكبير للترمذي (ت٢٧٩هـ): [أبواب الزهد وأبواب صفة القيامة والرقاق والورع].

٩. المستدرك للحاكم (ت٤٠٥هـ) [كتاب التوبة والإنابة وكتاب الرقاق].

١٠. مجموع الفتاوى لابن تيمية (ت٧٢٨هـ) [المجلد العاشر].

المبحث الثاني: أحوال الغلاة في السير إلى الله تعالى وأسباب انحرافهم

(الغلاة): الذين غلوا في مسائل السير إلى الله تعالى وبالغوا فيها، فضلّوا الطريق وتنكّبوا السبيل، وهم المتصوفة، وبيان ذلك في المطالب التالية.

المطلب الأول: تعريف التصوف ونشأته وموقف أهل السنة منه:

أولاً: تعريف التصوف:

قيل: هو رياضة النفس ومجاهدة الطبع بردّه عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة، من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تُكسِب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى(٢٧).

وقيل: هو مذهب كله جِدّ، فلا يخلطونه بشيء من الهزل.

وقيل: تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله تعالى على الحقيقة، واتِّباع رسول الله ﷺ في الشريعة.

وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التفرغ عن الدنيا.

وقيل: الأخذ بالحقائق، والكلام بالدقائق، والإياس مما في أيدي الخلائق(٢٨).

وهذه التعريفات: فيها ذكر للجوانب الحسنة للتصوف، وفي بعضها بيان لبعض مبالغات الصوفية من الجدّية الدائمة ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية والتفرغ عن الدنيا والكلام في دقائق ما يعرض للنفوس، على أن في المصطلحات الشرعية من (التزكية والزهد والورع والرجاء والخوف...): الغنية عن مصطلح (التصوف) الحادث، والذي لا يخلو من مآخذ صغيرة أو كبيرة.

ثانياً: نشأة التصوف:

يقول ابن الجوزي رحمه الله: [التصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون اليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب](٢٩). إلى أن قال: [وعلى هذا كان أوائل القوم فلبّس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبّس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن: زاد طمعه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن](٣٠).

وقد كان أوائل الصوفية يُعوّلون على الكتاب والسنة: يقول ابن الجوزي رحمه الله: [وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة، وإنما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم] ثم نقل أقوالاً عن

أبي سليمان الداراني وأبي يزيد البسطامي والسري السقطي والجنيد[٣١]، وكذا نقل القشيري عن أبي يزيد البسطامي[٣٢]، ونقل الغزالي عن سهل التستري[٣٣]، والسهروردي عن الجنيد[٣٤].

وهؤلاء كانت عليهم بعض الملاحظات، ثم ظهرت الانحرافات العظيمة فيمن جاء بعدهم، ولما ذكر الذهبي رحمه الله قصة هجر أحمد بن حنبل للحارث المحاسبي – رحم الله الجميع – وتحذير أبي زرعة رحمه الله من الحارث ومن كتبه، وأنها كتب بدع وضلالات: علّق عليها بقوله: [وأما المحاسبي فهو صدوق في نفسه، وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيف...، وأين مثل الحارث؟ فكيف لو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين كالقوت لأبي طالب!، وأين مثل القوت! كيف لو رأى بهجة الأسرار لابن جهضم، وحقائق التفسير للسلمي: لطار لُبُّه، كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك! على كثرة ما في الإحياء من الموضوعات، كيف لو رأى الغنية للشيخ عبد القادر! كيف لو رأى فصوص الحكم والفتوحات المكية! بلى لما كان الحارث لسان القوم في ذاك العصر، كان معاصره ألف إمام في الحديث، فيهم مثل: أحمد بن حنبل وابن راهويه، ولما صار أئمة الحديث مثل ابن الدخميسي، وابن شحانة: كان قطب العارفين كصاحب الفصوص، وابن سفيان، نسأل الله العفو والمسامحة آمين][٣٥]. فالتصوف من أوله نشأ على خلل، ثم كبر هذا الخلل وتشعّب، حتى وصل إلى ما هو عليه من طُرُق وجماعات، كل طريقة تختلف في الأفكار والتعبّدات والأوراد.

ثالثاً: موقف أهل السنة من الصوفية:

كان أحمد بن حنبل رحمه الله يحذّر من مجالسة الحارث المحاسبي[٣٦]: يقول ابن الجوزي رحمه الله: [وروينا عن أحمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي فقال لصاحب له: لا أرى لك أن تجالسهم، وعن سعيد بن عمرو البردعي قال: شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه الكتب كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب، قيل له: في هذه الكتب عبرة، قال من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمة صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء؟!، هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم، يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الدبيلي ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع][٣٧]. فكل التصوف ابتداع، مع تفاوت انحرافاته: فمنه ما يكون في البدع القولية والفعلية، ومنه ما يتعدى ذلك فَيَصل للبدع الاعتقادية، ومنه ما يصل للكفر والقول بالحلول ووحدة الشهود. والعياذ بالله، وفيما كان عليه المصطفى ﷺ والصحابة ﷺ ما يكفي لمن أراد التزكّي والتعبّد على الطريق الصحيح، وأحاديثهم معلومة وسِيَرهم مشهورة لمن أراد الاقتداء.

المطلب الثاني: مظاهر الغلو في مسائل السير إلى الله تعالى عند الصوفية:

١- كثرة البدع والمحدثات:

يقول ابن الجوزي رحمه الله عن كتب الصوفية: [وجمهور هذه التصانيف التي صُنفت لهم: لا تستند إلى أصل وإنما هي واقعات تلقّفها بعضهم عن بعض، ودوّنوها، وقد سمَّوها بالعلم الباطن](٣٨).

ويقول الشاطبي "رحمه الله" عنهم: [ولكنهم في كثير من الأمور يستحسنون أشياء لم تأت في كتاب ولا سنة، ولا عَمِلَ بأمثالها السلف الصالح، فيعملون بمقتضاها ويثابرون عليها، ويُحَكِّمونها طريقاً لهم مهيعاً، وسُنّة لا تُخالف، بل ربما أوجبوها في بعض الأحوال، فلولا أن في ذلك رخصة لم يصح لهم ما بنوا عليه، فمن ذلك: أنهم يعتمدون في كثير من الأحكام على الكشف والمعاينة وخرق العادة، فيحكمون بالحل والحرمة ويَبْنُون على ذلك الإقدام والإحجام](٣٩). والله تبارك وتعالى إنما تعبّدنا بما شرع، فلا مجال لبدع أو محدثات، وإنما التزام بالوحي وتمسّك بالدين.

٢- تشريع الذل والمهانة والجوع والفقر:

يقول عبد القادر الجيلاني رحمه الله في باب فيما يجب على المبتدي في طريق التصوف: [وينبغي له أن يرضى بالذل الدائم وحرمان النصيب، والجوع الدائم والخمول، وذم الناس له، وتقديم أضرابه وأشكاله وأقرانه عليه في الإكرام والعطاء، والتقريب عند الشيوخ ومجالس العلماء، فيجوع هو والجماعة يشبعون، والكل أعزاء ونصيبه الذل، ومن لم يرضَ بهذا ويُوطِّن نفسه عليه: فلا يكاد أن يُفلح ويجيء منه شيء، فالنجاح الكلي والفلاح فيما ذكرنا](٤٠).

ويبيّن آداب المريد مع شيخه فيقول: [وأما آدابه مع الشيخ: فالواجب عليه ترك مخالفة شيخه في صحبته في الظاهر، وترك الاعتراض عليه في الباطن، فصاحب العصيان بظاهره تارك لأدبه، وصاحب الاعتراض بِسِرِّه: متعرِّض لعطبه، بل يكون خصماً على نفسه لشيخه أبداً: يكُفُّ نفسه ويزجرها عن مخالفته ظاهرًا وباطنًا.

وإذا ظهر له من الشيخ ما يكره في الشرع أستخير عن ذلك بضرب المثل والإشارة، ولا يصرح به لئلا ينفر به عليه، وإن رأى فيه عيبًا من العيوب ستره عليه، ويعود بالتهمة على نفسه، ويتأول للشيخ في الشرع، فإن لم يجد له عذرًا في الشرع استغفر للشيخ ودعا له بالتوفيق والعلم والتيقظ والعصمة والحمية، ولا يعتقد فيه العصمة، ولا يخبر أحدًا به، وإذا رجع إليه يومًا آخر أو ساعة أخرى يعتقد أن ذلك قد زال، وأن الشيخ قد نُقِلَ إلى ما هو أعلى رتبة ولم يُقَرّ عليه....

وإذا غضب الشيخ وعبس في وجهه أو ظهر منه نوع إعراض عنه لم ينقطع عنه، بل يفتش باطنه وما يجري منه من سوء الأدب في حق الشيخ أو التفريط فيما يعود إلى أمر الله عز وجل، من ترك امتثال الأمر وارتكاب النهي، فليستغفر ربه عز وجل وليبت إليه، ويعزم على ترك المعاودة إليه، ثم يعتذر إلى الشيخ ويتذلل له ويتملقه، ويتحبب إليه بترك المخالفة له في المستقبل، ويداوم على المرافقة له، ويواظب عليها، فيجعله وسيلة وواسطة بينه وبين ربه عز وجل...](٤١).

وقد ذكر الذهبي رحمه الله قول الجنيد رحمه الله: [ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات]، ثم عقّب عليه بقوله: [قلت: هذا حسن، ومراده: قطع أكثر المألوفات، وترك فضول الدنيا، وجوع بلا إفراط، أما من بالغ في الجوع كما يفعله الرهبان، ورفض سائر الدنيا ومألوفات النفس من الغذاء والنوم والأهل: فقد عرّض نفسه لبلاء عريض، وربما خولط في عقله، وفاته بذلك كثير من الحنيفية السمحة، وقد جعل الله لكل شيء قدراً، والسعادة في متابعة السنن، فَزِنْ الأمور بالعدل، وصُمْ وأفطِر، ونَمْ وقُمْ، وألزم الورع في القوت، وارضَ بما قَسَم الله لك، واصمت إلا من خير، فرحمة الله على الجنيد، وأين مثل الجنيد في علمه وحاله؟](٤٢). وهذا كله مخالف لشرع الله تعالى؛ فالمؤمن لا يذلّ إلا لربه جل وعلا، و (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)(٤٣) و (إنك أن تَذَرَ ورثتك أغنياء: خير من أن تَذَرَهم عالة يتكفّفون الناس) (٤٤).

٣- تحريف بعض أعمال القلوب عن معانيها:

يقول الغزالي رحمه الله عن مقام التوكل على الله تعالى: [والمتوكلون في ملابسة هذه الأسباب على ثلاثة مقامات:

الأول: مقام الخواص ونظرائه، وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعاً وما فوقه أو تيسير حشيش له أو قوت أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك؛ فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد الزاد أو يضل بعيره ويموت جوعاً، فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده.

المقام الثاني: أن يقعد في بيته أو في مسجد، ولكنه في القرى والأمصار، وهذا أضعف من الأول، لكنه أيضاً متوكل؛ لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة، مُعوِّل على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية، ولكنه بالقعود في الأمصار مُتعرِّض لأسباب الرزق....

المقام الثالث: أن يخرج ويكتسب اكتساباً ... ، وهذا السعي لا يخرجه أيضاً عن مقامات التوكل إذا لم يكن طمأنينة نفسه إلى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته](٤٥).

ويقول الهروي رحمه الله عن مقام الرجاء: [الرجاء أضعف منازل المريد](٤٦).

فالتوكل والرجاء وغيرها من المعاني الإيمانية: لها معانيها في الشرع، وتطبيقاتها في سيرة النبي ﷺ وأصحابه ﵃ معلومة مشهورة، وأما هذه المعاني الدخيلة على الإسلام: فلا دليل عليها ولا عمل.

٤- كثرة التفتيش والبحث في الخواطر والوساوس:

وقد سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن الوساوس والخطرات فقال: [ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون](٤٧).

يقول ابن رجب رحمه الله: [وفي توسعة الكلام في المعاملات وأعمال القلوب التي لم تنقل عن الصحابة والتابعين، وكان الإمام أحمد يكره أكثر ذلك](٤٨).

يقول ابن القيم رحمه الله: [وسألت يوماً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه المسألة وقطع الآفات والاشتغال بتنقية الطريق وبتنظيفها، فقال لي جملة كلامه: النفس مثل الباطوس، وهو جُبّ القذر، كلما نبشته: ظهر وخرج، ولكن إن أمكنك أن تسقف عليه وتَعْبُرَه وتَجُوزه: فافعل ولا تشتغل بنبشه؛ فإنك لن تصل إلى قراره، وكلما نبشت شيئاً: ظهر غيره. فقلت: سألت عن هذه المسألة بعض الشيوخ فقال لي: مثال آفات النفس: مثال الحيات والعقارب التي في طريق المسافر، فإن أقبل على تفتيش الطريق عنها والاشتغال بقتلها: انقطع ولم يمكنه السفر قط، ولكن لتكن همتك المسير والإعراض عنها وعدم الالتفات إليها، فإذا عَرَض لك فيها ما يعوقك عن المسير: فاقتله ثم امض على سيرك، فاستحسن شيخ الإسلام ذلك جداً وأثنى على قائله](٤٩). وما أجمل ما استدل به الإمام أحمد على بدعية هذا التفتيش والبحث: وهو أن خير الخلق بعد النبي ﷺ: لم يفعلوها، وكفى به مانعاً منها.

٥- التشديد على النفس وتكليفها ما لا تستطيع:

يقول ابن الجوزي رحمه الله وهو يتكلم عن الصوفية: [أن قوماً منهم وقع لهم أن المراد رياضة النفوس لتخلص من أكدارها المرْدِية، فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفاء قالوا: ما لنا نُتْعِب أنفسنا في أمر لا يحصل لبشر، فتركوا العمل.

وكَشْفُ هذا التلبيس: أنهم ظنوا أن المراد قمع ما في البواطن من الصفات البشرية، مثل: قمع الشهوة والغضب وغير ذلك، وليس هذا مراد الشرع، ولا يُتصور إزالة ما في الطبع بالرياضة، وإنما خُلقت الشهوات لفائدة، إذ لولا شهوة الطعام: هلك الإنسان، ولولا شهوة النكاح: انقطع النسل، ولولا الغضب: لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يؤذيه، وكذلك حب المال مركوز في الطباع؛ لأنه يوصل إلى الشهوات، وإنما المراد من الرياضة: كفُّ النفس عما يؤذي من جميع ذلك، وردُّها إلى الاعتدال فيه، وقد مدح الله عز وجل من نهى

النفس عن الهوى، وإنما تنتهي عما تطلبه، ولو كان طلبه قد زال عن طبعها: ما احتاج الإنسان إلى نهيها، وقد قال الله عز وجل: ﴿ والكاظمين الغيظ﴾، وما قال: والفاقدين الغيظ، والكظم: رد الغيظ...، فَمَدَحَ من ردّ النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ، فمن ادّعى أن الرياضة تُغيِّر الطباع: ادّعى المحال، وإنما المقصود بالرياضة: كسر شرة شهوة النفس والغضب لا إزالة أصلها، والمرتاض كالطبيب العاقل عند حضور الطعام: يتناول ما يصلحه ويكفُّ عما يؤذيه، وعادم الرياضة كالصبي الجاهل: يأكل ما يشتهي ولا يبالي بما جنى][٥٠].

يقول ابن تيمية رحمه الله: [والرسل صلوات الله عليهم أعلم بطريق سبيل الله وأهدى وأنصح، فمن خرج عن سُنّتهم وسبيلهم: كان منقوصاً مخطئاً محروماً، وإن لم يكن عاصياً أو فاسقاً أو كافراً، ويُشبه هذا: الأعرابي الذي دخل عليه النبي ﷺ وهو مريض كالفرخ، فقال: (هل كنت دعوت الله بشيء؟ فقال: كنت أقول: اللهم ما كنت معذِّبي به في الآخرة: فعجِّله لي في الدنيا، فقال: سبحان الله! لا تستطيعه، أو لا تطيقه، هلّا قلت: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقِنَا عذاب النار)[٥١]][٥٢]. وصراط الله ظاهر، وشريعته واضحة، وقد قال عز من قائل: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ النساء: ٢٨

ويقول جل شأنه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ البقرة: ١٨٥

٦- قولهم: إنه لا سير بلا شيخ:

يقول عبد القادر الجيلاني رحمه الله مؤصلاً لذلك: [الله عز وجل أجرى العادة بأن يكون في الأرض شيخ ومريد، صاحب ومصحوب، تابع ومتبوع، من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة....، فالمشايخ هم الطريق إلى الله عز وجل والأدلاء عليه، والباب الذي يُدخل منه عليه، فلابد لكل مريد لله عز وجل من شيخ على ما بيّنا، إلا على الندور والشذوذ، فيجوز أن يصطفي الله عبدًا من عباده، فيتولى تربيته وحراسته عن الشيطان وهنّات النفس والهوى، كإبراهيم النبي ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليهما، وأويس القرني من الأولياء وغيرهم رحمهم الله، فلا يُنْكَر، إلا أنّا بيّنا ما هو الأغلب والأكثر والأسلم والأحسن][٥٣]. وهذه من البدع التي لا دليل عليها ولا شرع، وما دعا إليها أهل القرون المفضّلة، ولا خير إلا فيما دعا إليه الوحي وكان عليه عمل خير الناس من السلف الصالح رحمة الله عليهم.

٧- ابتداعهم لمنازل ومراتب للسير إلى الحق جل وعلا:

يقول الهروي رحمه الله في سبب تأليف كتابه (منازل السائرين): [فإن جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق عز اسمه من الفقراء من أهل هراة والغرباء: طال عليّ مسألتهم إياي زماناً أن أُبيِّن

لهم في معرفتها بياناً يكون على معالمها عنواناً، فأجبتهم بذلك بعد استخارتي الله واستعانتي به، وسألوني أن أرتّبها لهم ترتيباً يشير إلى تواليها، ويدل على الفروع التي تليها، وأن أُخْليه من كلام غيري وأختصره ليكون ألطف في اللفظ وأخف للحفظ.... . ثم إني رتّبته لهم فصولاً وأبواباً يغني ذلك الترتيب عن التطويل المؤدي إلى الملال، ويكون مندوحة عن التسائل، فجعلته مائة مقام، مقسومة على عشرة أقسام]. ثم بيّن درجات السائرين الثلاث: (درجة العامي، ثم السالك، ثم المحقق) فقال: [وإني مُفصِّل لك درجات كل مقام منها لتعرف: درجة العامة منه، ثم درجة السالك، ثم درجة المحقق].

ثم ذكر الأقسام العشرة فقال: [واعلم أن الأقسام العشرة التي ذكرتها في صدر هذا الكتاب هي: قسم البدايات، ثم قسم الأخلاق، ثم قسم الأحوال، ثم قسم الأبواب، ثم قسم الأصول، ثم قسم الولايات، ثم قسم النهايات، ثم قسم المعاملات، ثم قسم الأودية، ثم قسم الحقائق](٥٤).

وجعل في قسم الأحوال: عشرة أبواب: المحبة والغيرة والشوق والقلق والعطش والوجد والدهش والهيمان والبرق والذوق.

وفي الولايات عشرة أبواب: اللحظ والوقت والصفاء والسرور والسر والنفس والغربة والغرق والغيبة والتمكن.

وفي الحقائق عشرة أبواب: المكاشفة والمشاهدة والمعاينة والحياة والقبض والبسط والسكر والصحو والاتصال والانفصال.

وفي النهايات عشرة أبواب: المعرفة والفناء والبقاء والتحقيق والتلبيس والوجود والتجريد والتفريد والجمع والتوحيد(٥٥).

وكل هذه المراتب ما أنزل الله بها من سلطان، وفيها من الإعراض عن الوحي ما فيها، واستعاضة عنه بهذه المحدثات.

٨- تفريقهم بين الشريعة والحقيقة:

وهذا كثير فيهم: فالهروي رحمه الله يقسّم كل مقام من مقامات السائرين إلى ثلاث درجات: درجة العامة ودرجة السالكين، ودرجة المحققين(٥٦)، وسيأتي في النقطة القادمة ذكر كلامه عن مقام التوحيد ودرجات الناس فيه.

يقول ابن عجيبة رحمه الله (ت١٢٢٤هـ) في أول الباب الأول من شرحه لحِكَم ابن عطاء الله السكندري: [الأعمال عند أهل الفن على ثلاثة أقسام: عمل الشريعة، وعمل الطريقة، وعمل الحقيقة، أو تقول: عمل الإسلام، وعمل الإيمان، وعمل الإحسان، أو تقول: عمل العبادة، وعمل العبودية، وعمل العبودة: أي

الحرية، أو تقول: عمل أهل البداية، وعمل أهل الوسط، وعمل أهل النهاية، فالشريعة: أن تعبده، والطريقة: أن تقصده، والحقيقة: أن تشهده، أو تقول: الشريعة: لإصلاح الظواهر، والطريقة: لإصلاح الضمائر، والحقيقة: لإصلاح السرائر](٥٧). ومعلوم فساد هذا الكلام، وأن الأدلة ظاهرة في أن الشريعة جاءت لإصلاح الظاهر والباطن، وأنه ليس في دين الله أهل شريعة وأهل حقيقة، وهذا مع مخالفته لأدلة الشرع: فيه فتح باب للتفلت من أحكام الشرع وآدابه؛ بحجة أن الوصول للحقيقة أهم من التمسك بالشريعة.

٩- استخدامهم للعبارات المُجْمَلة والألفاظ المُوهِمة:

فلدى الصوفية الكثير من الألفاظ المحدثة التي ما جاء بها كتاب ولا سنة، ولديهم من العبارات الموهمة التي تثير الشك وتبعث الريبة، يقول ابن القيم رحمه الله: [فاعلم أن في لسان القوم من الاستعارات، وإطلاق العام وإرادة الخاص، وإطلاق اللفظ وإرادة إشارته دون حقيقة معناه: ما ليس في لسان أحد من الطوائف غيرهم، ولهذا يقولون: نحن أصحاب إشارة لا أصحاب عبارة، والإشارة لنا والعبارة لغيرنا، وقد يطلقون العبارة التي يطلقها الملحد، ويريدون بها معنى لا فساد فيه، وصار هذا سبباً لفتنة طائفتين: طائفة تعلّقوا عليهم بظاهر عباراتهم: فبدّعوهم وضلّلوهم، وطائفة: نظروا إلى مقاصدهم ومغزاهم فصوبوا تلك العبارات وصححوا تلك الإشارات، فطالب الحق يقبله ممن كان، ويردّ ما خالفه على من كان](٥٨).

ومن أمثلة عباراتهم: ما ذكره الهروي رحمه الله في بيان مقامات السير إلى الله تعالى: حيث قال: [وجميع هذه المقامات تجمعها رتب ثلاث: الرتبة الأولى: أخذ القاصد في السير، الرتبة الثانية: دخوله في الغربة، الرتبة الثالثة: حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد في طريق الفناء]، ثم استدل للرتبة الثالثة بحديث لا يدل على مراده، يقول: [وأخبرنا في معنى الحصول على المشاهدة ... في حديث سؤال جبرائيل رسول الله ﷺ قال: (ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه: فإنه يراك)(٥٩)... وهذا الحديث إشارة جامعة لمذهب هذه الطائفة](٦٠).

وعندما ذكر آخر منزلة من منازل السائرين إلى رب العالمين: (منزلة التوحيد) قال: [والتوحيد على ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والوجه الثاني: توحيد الخاصة: وهو الذي يثبت بالحقائق، والوجه الثالث: توحيد قائم بالقِدَم، وهو توحيد خاصة الخاصة.

فأما التوحيد الأول فهو شهادة أن [لا إله إلا الله] وحده لا شريك له الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، هذا هو التوحيد الظاهر الجلي الذي نفى الشرك الأعظم وعليه نُصِبت القبلة،

وبه وجبت الذمة، وبه حُقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار الإسلام من دار الكفر، وصحت به الملة للعامة...

وأما التوحيد الثاني الذي يثبت بالحقائق: فهو توحيد الخاصة، وهو إسقاط الأسباب الظاهرة والصعود عن منازعات العقول وعن التعلق بالشواهد، وهو أن لا تشهد في التوحيد دليلاً، ولا في التوكل سبباً، ولا للنجاة وسيلة... هذا توحيد الخاصة الذي يصح بعلم الفناء ويصفو في علم الجمع ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع.

وأما التوحيد الثالث: فهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه بقدره، وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه ... ، وإلى هذا التوحيد شَخَص أهل الرياضة وأرباب الأحوال، وله قَصَدَ أهل التعظيم، وإياه عني المتكلمون في عين الجمع، وعليه تصطلم الإشارات، ثم لم ينطق عنه لسان، ولم تُشِرْ إليه عبارة؛ فإن التوحيد وراء ما يشير إليه مكون أو يتعاطاه حين أو يَقُلْه سبب، وقد أجبت في سالف الزمان سائلاً سألني عن توحيد الصوفية بهذه القوافي الثلاث: ما وحّد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد.

توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد

توحيده إياه توحيده ونَعْتُ من ينعته لاحد][61].

قال ابن القيم رحمه الله معلّقاً على هذه الأبيات: [فرحمة الله على أبي إسماعيل: فَتَح للزنادقة باب الكفر والإلحاد فدخلوا منه، وأقسموا بالله جهد أيمانهم إنه لمنهم، وما هَوَ منهم، وغرّه سراب الفناء فظن أنه لُجّة بحر المعرفة وغاية العارفين، وبالغ في تحقيقه وإثباته، فَقَاده قسراً إلى ما ترى][62]. ويكفي أن هذه الألفاظ الموهمة لا ينبغي اعتمادها ولا الاستعاضة بها عن ألفاظ الشرع المحْكَمة الواضحة، وإلا فلو أُجريت هذه الألفاظ على ظاهرها: فالكلام خطير، والظاهر شرّه مستطير.

المطلب الثالث: أسباب انحراف الغلاة في السير إلى الله تعالى:

١- الجهل وقلة العلم بالكتاب والسنة:

وإنما يضل من يضل بإعراضه عن كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ طه: ١٢٣ - ١٢٤

يقول ابن الجوزي رحمه الله عن تلبيس الشيطان على الصوفية: [وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات](٦٣)، وقال: [وقد كان أوائل الصوفية يُقرّون بأن التعويل على الكتاب والسنة، وإنما لبّس الشيطان عليهم لقلة علمهم](٦٤)، وذكر أن ابتداء التصوف كان من الزهد، ثم ترخّصوا في بعض الأمور كالسماع والرقص، ثم قال: [وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبّس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبّس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم، إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن](٦٥).

فالجهل آفة، وهو سبب انحراف أغلب الطوائف؛ فمن جهل الطريق كيف يصل؟ ومن ضل السبيل كيف يهتدي؟.

٢- الغلو:

سواء أكان الغلو في الأفراد أو كان في مسائل الدين، وقد نهانا الرب جل وعلا ورسوله الكريم عن الغلو في الأشخاص: قال تعالى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ النساء: ١٧١

ونهانا عن الغلو في الآراء فقال جل وعلا: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المائدة: ٧٧

والغلو سبب هلاك الأمم: قال ﷺ: (إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)(٦٦).

ومعلومة قصة ثلاثة النفر الذين جاءوا بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أُخبروا: كأنهم تقالّوها، فقال لهم النبي ﷺ : (أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)(٦٧). فهؤلاء الصحابة كان مرادهم التعبد لله تعالى، وكان لديهم حجة على ما يريدون فعله: أن رسول الله ﷺ قد غُفرت جميع ذنوبه؛ فلا حرج عليه إن قلّت عبادته، أما نحن فأحوج للعبادة والعمل، ومع هذا كله: فقد عاتبهم رسول الله ﷺ وبيّن خطأهم وعدّل وجهتهم.

٣- الابتداع وصحبة أهل البدع:

أما **الابتداع**: فالله جل وعلا قد أكمل لنا الدين وأوضح السبيل وأتمّ النعمة، والنبي ﷺ حذرنا من البدع والإحداث في الدين فقال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد)(٦٨).

فلا نتعبد الله تعالى بما لم يشرع ولا نحمّل النصوص الشرعية ما لا تحتمل، ولا نفعل ما لم يفعله قدوتنا ﷺ ، ولا نترفع عن شيء فعله، قال تعالى مبيّناً ما ابتدعه النصارى من الرهبانية فقال: ﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ الحديد: ٢٧.

قال ابن رجب رحمه الله محذّراً من المحدثات: [ومما أُحدِث من العلوم: الكلام في العلوم الباطنة من المعارف وأعمال القلوب وتوابع ذلك بمجرد الرأي والذوق أو الكشف، وفيه خطر عظيم، وقد أنكره أعيان الأئمة كالإمام أحمد وغيره... وقد اتسع الخرق في هذا الباب ودخل فيه قوم إلى أنواع الزندقة والنفاق ودعوى أن أولياء الله أفضل من الأنبياء، أو أنهم مستغنون عنهم وإلى التنقص بما جاءت به الرسل من الشرائع، وإلى دعوى الحلول والاتحاد أو القول بوحدة الوجود، وغير ذلك من أصول الكفر والفسوق والعصيان كدعوى الإباحة وحل محظورات الشرائع، وأدخلوا في هذا الطريق أشياء كثيرة ليست من الدين في شيء، فبعضها زعموا أنه يحصل به ترقيق القلوب كالغناء والرقص، وبعضها زعموا أنه يراد لرياضة النفوس كعشق الصور المحرمة ونظرها، وبعضها زعموا أنه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة، وبعضه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة كالغناء والنظر إلى المحرم، وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً](٦٩).

ولما ذكر الذهبي رحمه الله بعض أقوالهم علّق عليها: [قلت: إي والله، دقّقوا وعمّقوا، وخاضوا في أسرار عظيمة، ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس، ما تفوّه بعباراتهم صِدِّيق ولا صاحب ولا إمام من التابعين، فإن طالَبْتَهم بدعاويهم: مَقَتَوك وقالوا: محجوب، وإن سلّمت لهم قيادك: تخبط ما معك من الإيمان وهبط بك الحال على الحيرة والمحال، ورَمَقتَ العباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البُعد، وقلتَ: مساكين محجوبون.

فلا حول ولا قوة إلا بالله، فإنما التصوف والتألّه والسلوك والسير والمحبة: ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ من الرضا عن الله ولزوم تقوى الله والجهاد في سبيل الله والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع

للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. والعالِمِ إذا عريَ من التصوف والتأله: فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عريَ من علم السنة: زلّ عن سواء السبيل](٧٠).

وأما **صحبة أهل البدع**: فلا شك أنها تغري باتِّباعهم؛ لذا كان السلف ينهون عن مجالستهم، فضلاً عن صحبتهم.

وقد نهى الرب جل جلاله حتى عن القعود مع من تُخشى مجالسته: فقال عز من قائل: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنعام: ٦٨

وذكر حال بعض الناس يوم القيامة فقال: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ الفرقان: ٢٧ – ٢٩

وينبّه النبي ﷺ إلى أثر الصاحب على صاحبه فيقول: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل)(٧١).

[لا تجاوروا أرباب الوحشة؛ فإن ظلمات أنفسهم تتعدى إلى قلوبكم عند استنشاقكم ما يردّون من أنفاسهم، فمن كان بوصف ما متحقّقاً: شاركه حاضروه فيه، فجليس من هو في أُنْسٍ: مستأنس، وجليس من هو في ظلمة مستوحش، ويقال: هجران أعداء الحقّ: فرض، ومخالفة الأضداد ومفارقتهم: دِين، والركون إلى أصحاب الغفلة: قرع باب الفرقة](٧٢).

وقد ذكر الذهبي رحمه الله كلام ابن عقيل الحنبلي رحمه الله: [وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يحرمني علماً نافعاً]، ثم علّق عليه بقوله: [قلت: كانوا ينهونه عن مجالسة المعتزلة، ويأبى، حتى وقع في حبائلهم، وتجسّر على تأويل النصوص، نسأل الله السلامة](٧٣).

٤ – استحسان الآراء:

فالتصوف والإرجاء وعلم الكلام كلها آراء قال بها أقوام، ثم جاء من بعدهم فزادوا فيها وبنوا عليها، ثم خَلَفَهم أقوام اعتمدوها وظنّوها الدين الحق وتعصّبوا لها وألّفوا فيها، يقول ابن الجوزي رحمه الله عن الصوفية: [وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء: قلة علمهم بالسنن والإسلام والآثار، وإقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم، وإنما استحسنوها لأنه قد ثبت في النفوس مدح الزهد، وما رأوا حالة أحسن

من حالة هؤلاء القوم في الصورة، ولا كلاماً أرقّ من كلامهم... ثم إن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد، وفي ضمنها الراحة والسماع، والطباع تميل إليها](٧٤).

ويقول ابن تيمية رحمه الله: [فمن عارض كتاب الله وجادل فيه بما يسميه معقولات وبراهين وأقيسة أو ما يسميه مكاشفات ومواجيد وأذواق من غير أن يأتي على ما يقوله بكتاب مُنَزّل: فقد جادل في آيات الله بغير سلطان، هذه حال الكفار الذين قال فيهم: ﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ﴾](٧٥).

وقال ابن القيم رحمه الله: [وعامة من تزندق من السالكين: فلإعراضه عن دواعي العلم، وسيره على جادة الذوق والوجد، ذاهبة به الطريق كل مذهب، فهذا فتنته والفتنة به شديدة](٧٦).

٥- اتِّباع الهوى:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ص: ٢٦.

وذكر جل وعلا افتراء المشركين عبادة الأصنام وابتداع أسمائها من عند أنفسهم؛ اتباعاً للظن والهوى، فقال عز من قائل: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٣

يقول ابن تيمية: [لزوم السنة هو يحفظ من شر النفس والشيطان بدون الطرق المبتدعة؛ فإن أصحابها لا بد أن يقعوا في الآصار والأغلال وإن كانوا متأولين، فلا بد لهم من اتِّباع الهوى؛ ولهذا سُمِّي أصحاب البدع: أصحاب الأهواء؛ فإن طريق السنة: علم وعدل وهدى، وفي البدعة: جهل وظلم، وفيها اتِّباع الظن وما تهوى الأنفس](٧٧).

ويذكر ابن الجوزي رحمه الله بعض خرافات الصوفية فيقول: [حتى إن أحدهم يتخايل لَهُ وسوسة فيقول: حدَّثني قلبي عن ربي، وكان الشبلي يقول:

إذا طالبوني بعلم الوَرَق بَرَزْتُ عليهم بعلم الخِرَقْ

وقد سمّوا علم الشريعة: علم الظاهر، وسمّوا هواجس النفوس: العلم الباطن](٧٨).

ويقول أيضاً: [فأول ما وضعوا أسماء وقالوا: حقيقة وشريعة، وهذا قبيح؛ لأن الشريعة مَا وضعه الحق لمصالح الخلق، فما الحقيقة بعدها سوى مَا وقع فِي النفوس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة فِي غير الشريعة فمغرور مخدوع، وإن سمعوا أحداً يروي حديثاً قالوا: مساكين؛ أخذوا علمهم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، فمن قال حدّثني أبي عن جدي، قلت: حدّثني قلبي عن ربي، فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار](٧٩).

وقد ردّ ابن القيم رحمه الله على هؤلاء فقال: [ومن أحالك على غير (أخبرنا) و (حدّثنا): فقد أحالك إما على خيال صوفي أو قياس فلسفي أو رأي نفسي، فليس بعد القرآن و (أخبرنا) و (حدّثنا) إلا شبهات المتكلمين وآراء المنحرفين وخيالات المتصوفين وقياس المتفلسفين، ومن فارق الدليل: ضلّ عن سواء السبيل، ولا دليل إلى الله والجنة سوى الكتاب والسنة، وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة: فهي من طرق الجحيم والشيطان الرجيم](٨٠).

٦- الإكثار من الكلام عن الزهد والصفاء والرقائق مع قلة كلام غيرهم فيها:

فما من بدعة إلا وفيها جانب يدعو إليها؛ وإلا لما دخل فيها أحد؛ وكلام الصوفية عن أعمال القلوب وقصص الزهد وأحاديث تصفية النفس: يدعو لاتّباعها والتأثر بها، لا سيما إذا لم يجد الناس ذلك الكلام عند غيرهم، بل قد يجدون ما هو ضده من الجفاء وذكر الأحكام مجردة عن سياقاتها التي جاءت في الوحي، يقول ابن الجوزي رحمه الله مبيّناً سبب الإقبال على مصنفات الصوفية: [وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء: قلة علمهم بالسنن والإسلام والآثار، وإقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم، وإنما استحسنوها لأنه قد ثبت في النفوس مدح الزهد، وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم في الصورة، ولا كلاماً أرقّ من كلامهم، وفي سِيَر السلف نوع خشونة، ثم إن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد؛ لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد، وفي ضمنها الراحة والسماع، والطباع تميل إليها](٨١).

ولقد كان السلف رحمهم الله خير من جمع بين العلم والعمل، وأفضل من تمثّل المنهج الحق في أرض الواقع، كيف لا وهم الذين زكّاهم خير الخلق عليه الصلاة والسلام بأنهم خير الناس فقال لما سئل: أي الناس خير؟ (قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)(٨٢). وقد جاء في ثنايا هذا البحث أمثلة كثيرة تبيّن ذلك.

٧- تأثير أهل الكتاب والديانات السابقة:

وأقوال اليهود والنصارى ما هي إلا تكرار لأقوال الكفار قبلهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ التوبة: ٣٠

وكثير من علماء الفرق يذكر أن التصوف قديم قبل الإسلام، وأن منشأه هم قدماء الهنود الوثنيون، فالبيروني لما ذكر فلاسفة اليونان قال: [إنّ قدماء اليونانيّين قبل نجوم الحكمة فيهم ... وتهذُّب الفلسفة عندهم بمن نشأ بعدهم: كانوا على مثل مقالة الهند]، ثم ذكر بعض آرائهم، ثم قال: [وهذا رأي السوفيّة،

وهم الحكماء فإنّ (سوف) باليونانية: الحكمة، وبها سُمِّي الفيلسوف (بيلاسوبا)، أي محبّ الحكمة، ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سُمُّوا باسمهم](٨٣).

المبحث الثالث: أحوال الجفاة في السير إلى الله تعالى وأسباب انحرافهم

(الجفاة): هم الذين أهملوا مسائل السير إلى الله تعالى ولم يهتموا بها، وهم المرجئة(٨٤)، وسنجمل الكلام عنهم في المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف الإرجاء وموقف أهل السنة منه:

أولاً: تعريف الإرجاء:

الإرجاء في اللغة: هو التأخير، يقال: أرجأت الشيء: أخّرته، ومنه قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ الأعراف: ١١١، ومنه سمّيت المرجئة(٨٥). والمراد بهم هنا: الذين أرجأوا العمل عن مسمى الإيمان فأخرجوه عنه.

وقد ظهر الإرجاء بعد الفتنة التي كانت بين الأمويين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، يقول قتادة رحمه الله: [إنما أُحْدِثَ الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث](٨٦)، وذلك أن عبد الرحمن بن الأشعث الكندي خرج على الأمويين، فقتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٤هـ، ولاحق العلماء وبطش بهم؛ فهنا ظهر الإرجاء(٨٧).

والمرجئة على اختلاف طوائفهم(٨٨): أهملوا موضوعات السلوك وأعمال القلوب والتعبّد؛ وذلك لاتّفاقهم على إخراج العمل من مسمى الإيمان، وقول بعضهم أن العمل شرط كمال وليس شرط صحة، فالأعمال ليست واجبة، والطاعات لا تدل على إيمان، والمعاصي لا تدل على فسق ولا كفر، وأن المرء لو ارتكب المنكرات وترك الطاعات لم يضرّ إيمانه شيء ولا يذهب منه شيء، فالكفر محلّه القلب ولا علاقة له بالجوارح(٨٩).

يقول الباقلاني رحمه الله (وهو من الأشاعرة ت ٤٠٥ هـ): [إن الإيمان بالله عز وجل هو: التصديق بالقلب، بأنه الله الواحد، الفرد، الصمد، القديم، الخالق، العليم...، وبنفي الإيمان به التكذيب، وقد اتفق أهل اللغة قبل نزول القرآن وبعث الرسول عليه السلام على أن الإيمان في اللغة هو التصديق دون سائر أفعال الجوارح والقلوب](٩٠).

ويعرّفه الجويني رحمه الله (وهو من أئمة الأشاعرة [ت٤٧٨هـ)]) فيقول: [والمرضي عندنا: أن حقيقة الإيمان: التصديق بالله تعالى؛ فالمؤمن بالله: من صدّقه.... وأن من مذهب أهل الحق: وصف الفاسق بكونه مؤمناً](٩١).

ثانياً: موقف أهل السنة من المرجئة:

كثرت تحذيرات السلف من الإرجاء، يقول إبراهيم النخعي رحمه الله: [تركتْ المرجئة الدين أرقّ من ثوب سابري](٩٢).

ويقول ابن أبي داود رحمه الله:

ولا تَكُ مُرْجيًّاً لعوباً بدينه   ألا إنما المرجيُّ بالدين يمزح(٩٣).

ويقول سليمان بن حرب رحمه الله قال: (مرّ أبو حنيفة رحمه الله بسكران فقال له: يا أبا حنيفة يا مرجئ، فقال له أبو حنيفة: صدقت، الذنب مني، جئت سميتك مؤمناً مستكمل الإيمان)(٩٤).

ويقول ابن تيمية رحمه الله في أهل الكلام(٩٥):[ويعلم العليم البصير بهم أنهم من وجه مستحِقّون ما قاله الشافعي رضي الله عنه حيث قال: (حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم في القبائل والعشائر، ويُقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبلَ على الكلام)(٩٦)، ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر – والحيرةُ مستولية عليهم والشيطان مستحوذ عليهم – رحمتهم وترفقت بهم؛ أُوتوا ذكاءً وما أوتوا زكاءً، وأُعطوا فهوماً وما أُعطوا علوماً، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴿ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ ، ومن كان عليماً بهذه الأمور: تبين له بذلك حِذْقَ السلف وعلمهم وخبرتهم: حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذمّوا أهله وعابوهم، وعَلِمَ أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد من الله إلا بعداً. فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين](٩٧).

ووصل الأمر لأكثر من ذلك: فقد قال ابن حجر عن القرطبي – رحم الله الجميع — قوله عن علم الكلام:

[وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك، وببعضهم إلى الإلحاد، وببعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات، وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع وتطلبّهم حقائق الأمور من غيره، وليس في قوة العقل ما يدرك ما في نصوص الشارع من الحكم التي استأثر بها، وقد رجع كثير من أئمتهم عن طريقهم](٩٨).

المطلب الثاني: مظاهر الجفاء في مسائل السير إلى الله تعالى عند المرجئة:

التقصير في أعمال القلوب ومعالم السلوك وبيان أهمية السير إلى الله تعالى وشرح معالمه وتفصيل طريقه: قديم، ثم تتابع عليه من جاء بعد، وهذه بعض مظاهر الضعف والتقصير فيه عند أصحاب هذا الطريق:

١- الاعتماد على أعمال الظاهر والاغترار بها مع إهمال أعمال الباطن:

وهو أمر قديم، حذّر منه المولى جل وعلا فقال: ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ البقرة: ١٧٧ ، فالظاهر قد يخدع، مع أن النبي ﷺ يقول: (التقوى هاهنا) ويشير إلى صدره.

ويقول ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم) وأشار بأصابعه إلى صدره[٩٩].

ويقول ابن الجوزي رحمه الله: [رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب إلا أن يمزج بالرقائق، والنظر في سير السلف الصالحين][١٠٠]. والواجب الجمع بين الظاهر والباطن، وموافقة السر للعلن، وأن تُصدِّق الجوارح ما يعتقده القلب.

٢- قلة الكتابات فيه والتذكير به مقارنة بالكتابات في فنون العلم الأخرى:

وإن نظرة لنوعية الكتب المطبوعة والرسائل الجامعية المكتوبة ودروس المساجد: ليبيّن هذا ويؤكده.

فإذا قلّ التأليف في علم، ونَدَر التدريس له والتذكير به: ضعف ذكره عند الناس وقلّ حرصهم عليه واهتمامهم به.

وبالتالي: غياب المنهجية الشرعية في إصلاح النفس: وهو أمر مترتب على المظهر السابق: فالموضوع الذي لا كتابات فيه، ولا تدريس له، ولا تذكير به: كيف يكون له منهجية واضحة وطريقة سالكة.

وأنّى لطالب للسير إلى الله تعالى أن يصل إذا لم يجد علماء تدلّه، أو مؤلفات ترشده.

٣- الانحراف عن منهج السلف في التأليف في أبواب الشريعة المختلفة:

وذلك بالربط بين العلم والعمل، والاعتقاد بالعبادة، ومن الأمثلة على منهج السلف: ما ذكرناه من كتب الحديث التي خصص مؤلفوها أبواباً وفصولاً تتحدث عن العقائد، مع أنها كتب أحكام وعبادات ومعاملات[١٠١].

ومن الأمثلة القديمة: ما فعله البخاري رحمه الله (ت٢٥٦هـ) في جامعه الصحيح حين افتتحه بكتاب (بدء الوحي) ثم كتاب (الإيمان) ثم كتاب (العلم) ثم كتاب (الوضوء)، وكذا ما فعله مسلم رحمه الله (ت٢٦١هـ) في صحيحه حين افتتحه بكتاب (الإيمان) ثم كتاب (الطهارة). مع أن هذه كتب في الحديث، فكيف بالكتب المؤلفة في الإيمان والعقيدة؟!.

بينما تأمل: كتاب (التوحيد) لأبي منصور الماتريدي رحمه الله (ت٣٣٣هـ) فهذه أول أبواب كتابه:

(إبطال التقليد ووجوب معرفة الدين بالدليل) ثم (السمع والعقل هما أصل ما يعرف به الدين) ثم (السبل الموصلة إلى العلم هي العيان والأخبار والنظر) ثم (الدليل على حدث الأعيان) ثم (الدليل على أن للعالم مُحْدِثاً).

وكل هذه الصفحات لم يستدل فيها بآية أو حديث إلا آيات في وجوب النظر والاستدلال لمعرفة الخالق تعالى[١٠٢].

ومن الأمثلة المتأخرة: كتاب (التوحيد) لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله (ت١٢٠٦هـ)، والذي افتتحه بقوله: [كتاب التوحيد وقول الله تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون ﴾ وقوله: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ...] ثم ذكر ثلاث آيات أخرى وأثراً وحديثاً ثم ختم مقدمته بذكر فوائد مستفادة من النصوص التي ذكرها – يسمّيها مسائل – ، ثم ذكر الباب الأول باب (فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب) ثم باب (من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) ثم باب (الخوف من الشرك) ثم باب (الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله). وهكذا يعنون للباب ثم يسرد تحته ما يدل عليه من الآيات والأحاديث والآثار وبعض الفوائد التي تستفاد منها.

بينما تأمل: كتاب (تحفة المريد على جوهرة التوحيد) لإبراهيم البيجوري رحمه الله (ت١٢٧٧هـ) وهو شرح لمنظومة ألّفها برهان الدين إبراهيم اللقاني رحمه الله (ت١٠٤١هـ). على مذهب الأشاعرة[١٠٣].

يقول البيجوري رحمه الله: [فالإيمان شرعاً هو التصديق بجميع ما جاء به النبي ﷺ مما عُلِم من الدين بالضرورة: إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي].

ويذكر من صدّق بقلبه ولم ينطق بالشهادتين: فيقول: [فمن صدّق بقلبه ولم يُقرَّ بلسانه لا لعذر مَنَعه ولا لإباء؛ بل اتفق له ذلك: فهو مؤمن عند الله، غير مؤمن في الأحكام الدنيوية، أما المعذور إذا قامت قرينة على إسلامه بغير النطق كالإشارة: فهو مؤمن فيهما](١٠٤).

وعند قول الناظم:

وكل نصّ أوهم التشبيها ... أوّله أو فوّض ورُمْ تنزيها

ذكر أن التأويل مذهب الخلف، والتفويض مذهب السلف، وأن الخلف من كانوا بعد الخمسمائة، وقيل: من بعد القرون الثلاثة، ثم قال: [وطريقة الخلف أعلم وأحكم؛ لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم، وهي الأرجح، ولذلك قدّمها المصنِّف، وطريقة السلف أسلم، لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مرادٍ له تعالى].

ثم ذكر أمثلة للنصوص الموهمة للتشبيه، ومما قال فيها: [ومما يوهم الجسمية: ﴿ وجاء ربك ﴾ وحديث الصحيحين: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، ويقول: من يدعوني: فأستجيب له، من يسألني: فأعطيه، من يستغفرني: فأغفر له)(١٠٥): فالسلف يقولون: مجيء ونزول لا نعلمها، والخَلَفْ يقولون: المراد وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب، والمراد: ينزل ملك ربنا فيقول عن الله...](١٠٦). فتأمل الفرق بين المنهجين.

٤- تجريد الأحكام عن الغايات التي شُرعت لأجلها:

مع أن نصوص الوحي قد دلّت عليها، ومن أمثلتها: الصلاة: فهي التي ﴿ تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾.

والصوم: الذي غايته ﴿ لعلكم تتقون ﴾، والحج: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)(١٠٧).

والذبائح التي تُهدى لبيت الله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الحج: ٣٦ - ٣٧

ورؤية المؤمنين لربهم جل وعلا في الجنة: فالنبي ﷺ بشّر أمته فقال: (إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته) دلّهم على سبيل تحصيل هذه البشارة، فقال: (فإن استطعتم أن لا تغلبوا على

صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا). وهذا الذي فهمه البخاري ومسلم رحمهما الله: فأخرجا هذا الحديث في أبواب (فضل صلاة العصر وصلاة الفجر)(١٠٨).

ونزول الرب جل جلاله للسماء الدنيا كل ليلة: وهي بشارة أخرى بشّرنا بها النبي ﷺ فقال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني: فأستجيب له، من يسألني: فأعطيه، من يستغفرني: فأغفر له). فالبخاري رحمه الله روى هذا الحديث في جامعه في كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، ورواه مسلم في صحيحه في باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه(١٠٩).

وهذا هذا هو الواجب: اعتقاد وعمل، قول وفعل، كما وصفهم ربهم تبارك وتعالى: ﴿ .....فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ الزمر: ١٧ — ١٨.

٥- ضعف التطبيق العملي لشعائر الدين لدى بعض المسلمين:

سواءً في معتقداتهم أم عباداتهم أم تعاملاتهم أم أخلاقهم، وقد ذكر النبي ﷺ أنواع الناس في استفادتهم من الوحي وعملهم به فقال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم: كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها: نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) (١١٠).

فما في القلب يظهر، وما في النفس يبدو، يقول الصادق المصدوق ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)(١١١).

ورأى سعيد بن المسيب رحمه الله رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: [لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه](١١٢).

فالقلب موطن التقوى والهداية أو الزيغ والغواية، وهو الدافع لعمل الجوارح، وعمل الظاهر دالٌّ على اعتقاد الباطن.

٦- انحسار الاهتمام بأعمال القلوب وتهذيب السلوك والأخلاق تعلّماً وتعليماً وتطبيقاً:

فتجد لدى بعض المسلمين: ضعف الشعور بمعية الله تعالى والأنس به والتوكل عليه، وقلة الإحساس بلذة العبادة والخشوع والإنابة والانطراح بين يدي المولى جل وعلا، وندرة الاهتمام بأعمال القلوب والسلوك والأخلاق في مساجد المسلمين ومدارسهم ومجالسهم، وتناقض في كثير من مناحي حياتهم العملية مع ما يحملونه من مبادئ الإسلام ومعتقداته.

٧- الانحرافات المنهجية والسلوكية من قِبَل المخالفين للمنهج الصحيح(١١٣):

فعندما يرى الناس انحرافات الصوفية وتصرفات الدراويش: فلا شك أن الأغلب سيعرض عنهم ويزهد فيهم؛ فما الحاجة لأفعال الجهال وتصرفات المعتوهين، وما الدافع لاتّباع أهل التواكل والخيالات وترك عمارة الدنيا.

٨- كثرة التعلق بالدنيا والعمل لها ونسيان العمل للآخرة:

إن بيان حقيقة الدنيا وزوالها هي إحدى الحقائق الكبرى التي تكررت كثيراً في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

وقد حذّر تعالى من الاغترار بالدنيا والانشغال بها عن يوم الحساب: فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ لقمان: ٣٣

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ المنافقون:٩

ويقول النبي ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل, وكان ابن عمر، يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)(١١٤).

ويقول ﷺ (ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)(١١٥).

وحب الدنيا والتعلق بها: أمر فطري، قد جُبِل عليه الناس، لكن هذا الأمر زاد في العصور المتأخرة، لاسيما بعد الانفتاح على شعوب الأرض باختلاف عقائدها وتصوراتها، وما انتشر فيها من الإلحاد وترك التدين بالكلية، ومعلوم أن بعض المسلمين يعيش معهم أو درس عندهم وتأثر بهم، ومن لم يكن كذلك:

فيكون قد جاءته بعض أفكارهم عن طريق نظرياتهم في العلوم التجريبية أو تصوراتهم في رواياتهم وأعمالهم الفنية أو سلوكياتهم في برامجهم الإعلامية وقنواتهم الفضائية.

٩- انتشار المظاهر الدالّة على عدم تزكية النفس:

فتجد قسوة القلوب وخواء الروح وقلة الطمأنينة، وتجد خفوت قيم الرفق والألفة واللين لدى بعض المسلمين، وتجد انتشار الكبر والحسد والتناحر والتباغض.

وكل هذه مظاهر لضعف تزكية النفوس وتطهير القلوب والبعد عن الله جل وعلا وما أنزله من الهدى والنور.

١٠-الانسياق وراء كل ما يعتني بالروح ويخاطب الوجدان ولو كان فيها خلط وعليها ملاحظات:

كعلوم الطاقة وقوانين الجذب وبرامج البرمجة العصبية؛ لعدم ظهور المنهج الصحيح الذي يعتني بالروحانيات ويهذّب السلوك، والعالم اليوم غارق في الماديات مفتقد للروحانيات، فتراه يتلقف كل ما يظنه يعتني بالروح ويهتم بالوجدان، ولو وجد الناس الحق ظاهراً، والطريق إلى الله واضحاً: لما زهدوا فيه ولما تطلّبوا غيره.

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... أتطلب الربح فيما فيه خسران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان(١١٦).

المطلب الثالث: أسباب انحراف الجفاة في السير إلى الله تعالى:

لانحراف الجفاة في مسائل السير إلى الله تعالى أسباب كثيرة وعوامل عديدة، وسأذكر منها تسعة أسباب كما يلي:

١- عدم الشعور بأهمية الموضوع وخطورة التفريط فيه:

فمن عرف قيمة شيء حافظ عليه واعتنى به، وقد تقدم بيان أهمية هذا الموضوع في المبحث الأول.

٢- عدم معرفة حقيقة الإسلام والتدين الصحيح:

فيظن ظانّ أن الدين لا علاقة له بالحياة، أو يتوهم متوهم أن الدين مبادئ ومفاهيم نظرية لا واقع لها ولا تطبيق.

ثم تأتي بعض آراء الفرق الإسلامية وسلوكيات بعض المسلمين لتكرّس ذلك وتؤكده.

٣- طول الأمد والبعد عن زمن النبوة:

وهو أمر عام في أمور الدين، ومنها: السير إلى الله تعالى.

فحنظلة رضي الله عنه ومعه الصِدّيق رضي الله عنه يفتقدان أثر مجالس رسول الله ﷺ لأيام يتخوّلهم فيها بالموعظة: يقول حنظلة رضي الله عنه: (لَقِيَني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟، قال: قلت: نَافَقَ حنظلة، قال: سبحان الله، ما تقول؟، قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ ، يُذكِّرنا بالنار والجنة، حتى كأنّا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً) فيجيبه الصدّيق رضي الله عنه (فوالله إنّا لنلقى مثل هذا)(١١٧).

وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: (ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ إلا أربع سنين)(١١٨).

ومع ذلك كانوا يتّهمون أنفسهم بالتقصير: [عن أبي صالح: لما قَدِمَ أهل اليمن في زمان أبي بكر وسمعوا القرآن: جعلوا يبكون، قال: فقال أبو بكر: هكذا كنّا حتى قَسَت القلوب](١١٩).

فإذا كان هذا حال خير القرون: فمن بعدهم من باب أولى؛ فالخيرية قلّت والفتور وارد وطول الأمد حاجب.

٤- الانشغال بالدنيا والتعلّق بها واتّباع الشهوات:

وهو أمر ذكره الله تعالى في كتابه وحذّر منه: قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ القيامة: ٢٠ – ٢١ وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ الإنسان: ٢٧

ويقول جل وعلا: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ مريم: ٥٨ – ٥٩

ويروي البخاري رحمه الله في جامعه في كتاب الرقاق ، في باب ما يُحذَر من زهرة الدنيا والتنافس فيها: قصة المال الذي قَدِمَ به أبو عبيدة رضي الله عنه من البحرين، وسمعت الأنصار بقدومه، فوافته صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف تعرّضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، وقال: (أظنّكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة، وأنه جاء بشيء، قالوا: أَجَل يا رسول الله، قال: فأبشروا وأمّلوا ما يسرّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم)(١٢٠).

فتأمل ما الذي أقسم المصطفى ﷺ أنه لا يخشى علينا منه، وما الذي خشيه علينا.

٥- مشقة السير في الطريق الطويل:

فالكلام أسهل من العمل، والسير إلى الله تعالى يتطلب جهداً ووقتاً وصبراً ومصابرة، وبعض الأعراب ظنّوا أنهم بلغوا مرتبة الإيمان: فنبّههم الرب جل وعلا بأنهم دون ذلك، ثم دلّهم على الطريق الموصلة للإيمان، قال عز من قائل: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ الحجرات: ١٤ – ١٥

والنبي ﷺ يقول: (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة)[١٢١].

قال الشاعر:

دببت للمجد والساعون قد بلغوا ... جهد النفوس وألقوا دونه الأُزُرا

وكابدوا المجد حتى ملّ أكثرهم ... وعانق المجد من أوفى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا[١٢٢].

٦- ظهور الشبهات:

وسأذكر منها شبهتين كان لها أكبر الأثر في فصل العلم عن العمل:

أ)- شبهة الإرجاء:

فالمسألة قديمة (ارتباط الإيمان بالعمل): فالمرجئة: أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان وفرّقوا بين الاعتقاد والعمل، فالإيمان عندهم هو التصديق، وأما أعمال الجوارح فليست من الإيمان.

وإذا كان ذلك كذلك: استهان الناس بأعمال الجوارح؛ إذ هي خارجة عن الإيمان منفصلة عنه.

ب)- علم الكلام:

وقد ذكرنا أن المتكلمين: مرجئة في الإيمان.

وكذلك لما عُرف به علم الكلام من كثرة الجدل والتركيز على القياسات العقلية، مع إهمالٍ ظاهرٍ للعمل وقلة اهتمام بالنصوص النقلية.

٧- التأليف في العلوم الشرعية بصبغة جافة لا روح فيها ولا حياة:

وهو من نتائج علم الكلام: فهي كتب لا تُغري بقراءتها فضلاً عن العمل بما فيها، كلمات مجردة لا ينمو معها العبد ولا يكبر، وتصورات لا تمثّل صورة حقيقية عن الدين الحنيف الذي جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسير السلف الصالح.

٨- **ادّعاء بعض الكفار الإسلام ظاهراً مع البقاء على الكفر باطناً ودسّ الدسائس للمسلمين:**

ومن تتبّع تاريخ نشوء الفرق المنتسبة للإسلام: علم أن أغلبها كان منشؤه غير المسلمين:

والجعد بن درهم الذي أظهر القول بخلق القرآن، وقد أخذ هذا القول عن بيان بن سمعان، الذي أخذه عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي، ثم أخذه عنه الجهم بن صفوان(١٢٣).

والجهم بن صفوان الذي كان صاحب خصومات وجدل، لقي طائفة من المشركين الهنود فجادلوه، فظلّ متحيراً أربعين يوماً لا يدري من يعبد(١٢٤)، والقائل بأن الإيمان هو معرفة القلب ، والقائل بأن الإنسان مجبور على فعله(١٢٥).

ومعبد الجهني الذي أخذ نفي القدر من سنسويه النصراني الذي ادّعى الإسلام ثم تنصّر(١٢٦).

وأثر تعريب تراث اليونان وعلم الكلام في آراء المعتزلة(١٢٧).

فبالله ماذا يبقى من الدين؟ وهل يبقى هناك سير إلى الله تعالى إذا كان القرآن مخلوقاً، والأعمال ليست من الإيمان، والمرء مجبور على فعله ولا تُنسب إليه إلا مجازاً، والقدر منفيّ، والعقائد تتلقّى من خرافات الهند ووثنيات اليونان؟!.

٩- ومن الأسباب المعاصرة: **ظهور الملحدين واللادينيين والتأثر بالمدرسة الغربية المادية وإهمال الروحانيات:**

فقد انتشرت ظاهرة الإلحاد أو اللادينية في كثير من بلاد الكفار(١٢٨)، والتي أثّرت بدورها على أفكار كثير من المسلمين، وأسهمت في طغيان الجوانب المادية والفردية على حياة كثير من المسلمين واهتماماتهم، وإهمال الجوانب الروحية، وضمور القيم المعنوية.

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد:

فقد توصلت في ختام هذا البحث إلى بعض **النتائج**، أُجملها فيما يلي:

١. المراد بالسير إلى الله تعالى: هو وصف للطريق الموصلة إلى رضى الله جل وعلا، وأسباب تحصيل ذلك.

٢. للسير إلى الله تبارك وتعالى أهمية كبرى ومنزلة عليا، وقد كثرت النصوص التي تدل عليه، وتتابعت كلمات العلماء ومؤلفاتهم في الحث على هذه الطريق وتفصيل مراحلها وبيان حقيقتها.

٣. المخالفون لأهل السنة في مسائل السير إلى الله تعالى طرفان: طرف قصّر وأهمل، وطرف غلا فيها وبالغ.

٤. الطرف الأول: هم الذين غلوا في مسائل السير إلى الله تعالى وبالغوا فيها، فضلّوا الطريق وتنكّبوا السبيل، وهم المتصوفة، وللغلو عندهم مظاهر عدة، منها: كثرة البدع والمحدثات، وتشريع الذل والمهانة والجوع والفقر، وتحريف بعض أعمال القلوب عن معانيها، وكثرة التفتيش والبحث في الخواطر والوساوس، والتشديد على النفس وتكليفها ما لا تستطيع، وقولهم: إنه لا سير بلا شيخ، ابتداعهم لمنازل ومراتب للسير إلى الحق جل وعلا، تفريقهم بين الشريعة والحقيقة، استخدامهم للعبارات المجْمَلة والألفاظ الموهِمة.

وترجع أسباب الغلو في السير إلى الله تعالى عند الصوفية إلى: ناجمة عن الجهل بنصوص الوحي، أو الغلو في الدين، أو الابتداع فيه، أو اتباع الهوى، أو التأثر بالديانات الأخرى.

٥. الطرف الثاني: هم الذين قصّروا في مسائل السير إلى الله تعالى وأهملوها ولم يهتموا بها، وهم المرجئة والمتكلمون، وتتمثل مظاهر الجفاء عندهم في: الاعتماد على أعمال الظاهر والاغترار بها مع إهمال أعمال الباطن وقلة الكتابات فيه والتذكير به مقارنة بالكتابات في فنون العلم الأخرى، والانحراف عن منهج السلف في التأليف في أبواب الشريعة المختلفة وتجريد الأحكام عن الغايات التي شُرعت لأجلها، وضعف التطبيق العملي لشعائر الدين لدى بعض المسلمين، وانحسار الاهتمام بأعمال القلوب وتهذيب السلوك والأخلاق تعلّماً وتعليماً وتطبيقاً، والانحرافات المنهجية والسلوكية من قِبَل المخالفين للمنهج الصحيح، وكثرة التعلق بالدنيا والعمل لها ونسيان العمل للآخرة، وانتشار المظاهر الدالّة على عدم تزكية النفس والانسياق وراء كل ما يعتني بالروح ويخاطب الوجدان ولو كان فيها خلط وعليها ملاحظات.

وترجع أسباب الجفاء في السير إلى الله تعالى عند المرجئة إلى: القصور في تصور أهميته، أو الانشغال عنه، أو انتشار بعض الممارسات التي تصد عنه، أو ظهور الشبهات التي تحول دونه.

- **التوصيات:**

- الاهتمام بالموضوع كتابة وتدريساً في المساجد والمدارس وتطبيقاً في الحياة.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث:

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٠٣/١) برقم (٢٢٣).

(٢) الفوائد ص١٤١.

(٣) مثل: تقرير مؤسسة راند – وهي من أكبر المؤسسات البحثية الفكرية في العالم، ومقرّها أمريكا – عام ٢٠٠٧م، والذي كان عن الشرق الأوسط، وحمل عنوان: [بناء شبكات مسلمة معتدلة] ، والذي دعا لدعم التصوف.

ومثل: المؤتمر الذي عقد في العاصمة الشيشانية (جروزني) برعاية من روسيا، في عام ٢٠١٦ م ، وكان بعنوان (من هم أهل السنة والجماعة؟)، وخرج بأن أهل السنة هم [الأشاعرة والماتريدية ومنهم أهل الحديث من المفوضة في الاعتقاد وأهل المذاهب الأربعة: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة في الفقه، وأهل التصوف الصافي علماً وأخلاقاً وتزكية على طريقة سيد الطائفة الإمام الجنيد ومن سار على نهجه من أئمة الهدى]. انظر: موقع ويكيبيديا على شبكة الإنترنت بعنوان (مؤتمر الشيشان).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٩٢/٣).

(٥) رواه البخاري في جامعه الصحيح (٤٦/٢) برقم (١١٠٧).

(٦) طريق الهجرتين ص١٨٥.

(٧) المحجة في سير الدلجة ص٤٢٥.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٣٨/٢-٣٣٩).

(٩) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٦٧/٨).

(١٠) مدارج السالكين (١٥٦/٣).

(١١) رواه مسلم في صحيحه (٢٠٨٨/٤) برقم (٢٧٢٢).

(١٢) الأمر بالعزلة في آخر الزمان ص٢٧٠.

(١٣) مجموع الفتاوى (٧٢/٢٠-٧٣). وانظر كلاماً قريباً من هذا لابن القيم في بدائع الفوائد (١١٤٦/٣-١١٤٧).

(١٤) رواه البخاري في جامعه الصحيح (٨٩/٨) برقم (٦٤١٦).

(١٥) رواه الترمذي في جامعه الكبير (٥٨٨/٤) برقم (٢٣٧٧) وقال: (حديث حسن صحيح) وابن ماجه في سننه (١٣٧٦/٢) برقم (٤١٠٩) والحاكم في مستدركه (٣٤٤/٤) برقم (٧٨٥٨) وقال: [صحيح على شرط البخاري ولم يخرّجاه].

(١٦) عدة الصابرين ص١٩٦.

(١٧) رواه الترمذي في جامعه الكبير (٦٣٣/٤) برقم (٢٤٥٠) وقال: [حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر] والحاكم في مستدركه (٣٤٣/٤) برقم (٧٨٥١) وقال: [صحيح الإسناد ولم يخرّجاه].

(١٨) رواه البخاري في جامعه الصحيح (١٦/١) برقم (٣٩). و(الدلجة): السير في الليل. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٢٩/٢).

(١٩) رواه مسلم في صحيحه (٢٠٣/١) برقم (٢٢٣).

(٢٠) الفوائد ص٢٠٢.

(٢١) رواه البخاري في جامعه الصحيح (٦/١) برقم (١).

(٢٢) اعتقاد أهل السنة ص٥٩-٦٠.

(٢٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٢٩٧-٢٩٨.

(٢٤) الحجة في بيان المحجة (٥٢٨/٢-٥٢٩).

(٢٥) رواه الترمذي في جامعه الكبير (٤٥٨/٣) برقم (١١٦٢) وقال: [حديث حسن صحيح] وأبو داود في سننه (٢٢٠/٤) برقم (٤٦٨٢) والحاكم في مستدركه (٤٣/١) برقم (٢) وقال: [حديث صحيح لم يُخرّج في الصحيحين، وهو على شرط مسلم].

(٢٦) العقيدة الواسطية ص١٣٠-١٣١.

(٢٧) نقله ابن الجوزي رحمه عن أهل التصوف. انظر: تلبيس إبليس ص١٤٧.

(٢٨) كل هذه التعريفات وغيرها: مستقاة من كتاب: التعريفات للجرجاني ص٨٣-٨٤.

(٢٩) تلبيس إبليس ص١٤٥.

(٣٠) المصدر السابق ص١٤٧.

(٣١) تلبيس إبليس ص١٥١.

(٣٢) انظر: الرسالة القشيرية للقشيري (٨١/١).

(٣٣) انظر: إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٣٠٢/٢).

(٣٤) انظر: عوارف المعارف للسهروردي (٦١/١).

(٣٥) ميزان الاعتدال (٤٣٠/١-٤٣١). وذكر المحقق أن في أحد نسخ الكتاب: (ابن سبعين) محل (ابن سفيان).

(٣٦) انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٦٢/١-٦٣) و (٢٣٣/١-٢٣٤).

(٣٧) تلبيس إبليس ص١٥٠.

(٣٨) تلبيس إبليس ص١٤٩-١٥٠.

(٣٩) الاعتصام (٣٥٩/١-٣٦٠).

(٤٠) الغنية لطالبي طريق الحق (٢٧٨/٢).

(٤١) المصدر السابق (٢٧٩/٢).

(٤٢) سير أعلام النبلاء (٦٩/١٤-٧٠).

(٤٣) كما ثبت في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (٢٠٥٢/٤) برقم (٢٦٦٤).

(٤٤) كما ثبت في الحديث الذي رواه البخاري في جامعه الصحيح (٨١/٢) برقم (١٢٩٥) ومسلم في صحيحه (١٢٥٠/٣) برقم (١٦٢٨).

(٤٥) إحياء علوم الدين (٢٦٨/٤).

(٤٦) منازل السائرين ص٣٣.

(٤٧) ذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص١٥٠.

(٤٨) جامع العلوم والحكم (١٣١/٢).

(٤٩) مدارج السالكين (٣١٣/٢-٣١٤).

(٥٠) تلبيس إبليس ص٣٢٣-٣٢٤.

(٥١) رواه مسلم في صحيحه (٢٠٦٨/٤) برقم (٢٦٨٨).

(٥٢) الاستقامة (٨٨/٢-٩٢).

(٥٣) الغنية لطالبي طريق الحق (٢٨٠/٢-٢٨١).

(٥٤) منازل السائربن ص٤-١٠.

(٥٥) انظر على التوالي: ص٨٨ وص١٠٠ و ص١١٣ وص١١٥.

(٥٦) منازل السائرين ص٩.

(٥٧) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص٢٥.

(٥٨) مدارج السالكين (٣٣٠/٣-٣٣١).

(٥٩) رواه البخاري في جامعه الصحيح (١٩/١) برقم (٥٠) ومسلم في صحيحه (٣٦/١) برقم (٨).

(٦٠) منازل السائرين ص٧ و ٩.

(٦١) المصدر السابق ص١٣٥-١٣٩. وانظر كلاماً آخر لعبدالقادر الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق (٢٧٠/٢).

(٦٢) مدارج السالكين (١٤٨/١).

(٦٣) تلبيس إبليس ص١٤٧.

(٦٤) المصدر السابق ص١٥١.

(٦٥) المصدر السابق ص١٤٧.

(٦٦) رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٢٩٨/٥) برقم (٣٢٤٨) وابن ماجه في سننه (١٠٠٨/٢) برقم (٣٠٢٩) والحاكم في مستدركه (٦٣٧/١) برقم (١٧١١) وقال: [حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه] وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٧٨/٣) برقم (١٢٨٣).

(٦٧) رواه البخاري في جامعه الصحيح (٢/٧) برقم (٥٠٦٣).

(٦٨) رواه البخاري في جامعه الصحيح (١٨٤/٣) برقم (٢٦٩٧) ومسلم في صحيحه (١٣٨٣/٣) برقم (١٧١٨).

(٦٩) بيان فضل علم السلف على علم الخلف ص٦.

(٧٠) سير أعلام النبلاء (٤٠٩/١٥-٤١٠).

(٧١) رواه الترمذي في جامعه الكبير (٥٨٩/٤) برقم (٢٣٧٨) وقال: [حديث حسن غريب] وأبو داود في سننه (٢٥٩/٤) برقم (٤٨٣٣) والحاكم في مستدركه (١٨٩/٤) برقم (٧٣٢٠) وقال: [صحيح عن شاء الله ولم يخرّجاه].

(٧٢) الكلام للقشيري في لطائف الإشارات (٣٧٥/١).

(٧٣) سير أعلام النبلاء (٤٤٧/١٩).

(٧٤) تلبيس إبليس ص١٤٩.

(٧٥) الاستقامة (٢٢/١).

(٧٦) مدارج السالكين (١٥٨/١).

(٧٧) مجموع الفتاوى (٥٦٨/١٠).

(٧٨) تلبيس إبليس ص٢٨٤.

(٧٩) المصدر السابق ٣٢٩.

(٨٠) مدارج السالكين (٤٦٨/٢-٤٦٩).

(٨١) تلبيس إبليس ص١٤٩.

(٨٢) رواه البخاري في جامعه الصحيح (١٣٤/٨) برقم (٦٦٥٨) ومسلم في صحيحه (١٩٦٢/٤) برقم (٢٥٣٣).

(٨٣) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص٢٧.

(٨٤) ومنهم المتكلمون القائلون بالإرجاء، ونقصد بالمتكلمين: الماتريدية والأشاعرة والمعتزلة، وسيأتي بعض أقوالهم أثناء هذا المبحث.

(٨٥) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٩٥/٢).

(٨٦) الإبانة لابن بطة (قسم الإيمان) برقم (١٢٢٩).

(٨٧) انظر في هذه الفتنة: البداية والنهاية لابن كثير (٣٥٣/١٢) وما بعدها.

(٨٨) انظر في أقوال المرجئة: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (٢١٣/١-٢٢٣) و (٣٣٨/١) والتنبيه والرد للملطي ص٥٧-٦١ و١٥٥-١٦٤ والفرْق بين الفرَق لعبد القاهر البغدادي ص٣٣-٣٤ و١٩٤ و٣١٠ والفِصل لابن حزم (٢٢٧/٣) والملل والنحل للشهرستاني (١٣٨/١).

(٨٩) انظر: الإيمان لأبي عبيد ص٩-١٠ والحجة لقوام السنة (٤٣٧/١-٤٣٨) وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٥٩-٤٦٠ وفتح الباري لابن حجر (٤٦/١).

(٩٠) الإنصاف ص٤-٥.

(٩١) الإرشاد ص٣٠٦-٣٠٧.

(٩٢) رواه عبدالله بن أحمد بن حنبل في السنة برقم (٦١٨) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (١٨٠٧).
و(السابري): ثوب رقيق، نسبة إلى سابور. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٣٤/٢).

(٩٣) المنظومة الحائية لأبي بكر بن أبي داود، رواها عنه تلميذه الآجري في الشريعة (٢٥٦٣/٥-٢٥٦٥).

(٩٤) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (١٨٣٨).

(٩٥) ومن المآخذ الكبيرة على المتكلمين: القول بالإرجاء وإخراج الأعمال من مسمى الإيمان.

(٩٦) رواه بسنده الهروي في ذم الكلام وأهله برقم (١١٤٢).

(٩٧) مجموع الفتاوى (١١٩/٥-١٢٠).

(٩٨) فتح الباري (٣٥٠/١٣). وهو مختصر لما ذكره أبو العباس القرطبي (ت٦٥٦هـ) في المفهم (٦٩١/٦-٦٩٢).

(٩٩) رواهما مسلم في صحيحه (١٩٨٦/٤) برقم (٢٥٦٤).

(١٠٠) صيد الخاطر ص٢٢٨.

(١٠١) تقدم في آخر المبحث الأول.

(١٠٢) التوحيد للماتريدي ص٣-١٩.

(١٠٣) في السنة الأولى والثانية والثالثة من المرحلة الثانوية في معاهد جامعة الأزهر: يُدرّس كتاب (تيسير شرح جوهرة التوحيد) للبيجوري.

وهو من المراجع الأساسية في البكالوريوس في قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين. انظر: https://azharegypt.edu.eg/?p=742

(١٠٤) تحفة المريد ص٥٤-٥٥.

(١٠٥) رواه البخاري في جامعه الصحيح (٥٣/٢) برقم (١١٤٥) ومسلم في صحيحه (٥٢١/١) برقم (٧٥٨).

(١٠٦) تحفة المريد ص١٠٣-١٠٥.

(١٠٧) رواه البخاري في جامعه الصحيح (١٣٣/٢) برقم (١٥٢١) ومسلم في صحيحه (٩٨٣/٢) برقم (١٣٥٠).

(١٠٨) الجامع الصحيح للبخاري (١١٥/١) برقم (٥٥٤) و (١١٩/١) برقم (٥٧٣) وصحيح مسلم (٤٣٩/١) برقم (٦٣٣).

(١٠٩) الجامع الصحيح (٥٢/٢-٥٣) برقم (١١٤٥) وصحيح مسلم (٥٢١/١) برقم (٧٥٨).

(١١٠) رواه البخاري في جامعه الصحيح (٢٧/١) برقم (٧٩) ومسلم في صحيحه (١٧٨٧/٤) برقم (٢٢٨٢).

(١١١) رواه البخاري في جامعه الصحيح (٢٠/١) برقم (٥٢) ومسلم في صحيحه (١٢١٩/٣) برقم (١٥٩٩).

(١١٢) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه (٢٨٩/٢) برقم (٦٨٥٤).

(١١٣) كما تقدم في المبحث السابق.

(١١٤) رواه البخاري في جامعه الصحيح برقم (٦٤١٦).

(١١٥) رواه الترمذي في جامعه الكبير برقم (٢٣٧٧) وأحمد في مسنده برقم (٣٧٠٩).

(١١٦) البيتان لأبي الفتح البستي ضمن قصيدة نونية له. انظر: ديوانه ص١٨٣.

(١١٧) رواه مسلم في صحيحه (٢١٠٦/٤) برقم (٢٧٥٠).

(١١٨) رواه مسلم في صحيحه (٢٣١٩/٤) برقم (٣٠٢٧).

(١١٩) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٣/١).

(١٢٠) رواه البخاري في جامعه الصحيح (٩٠/٨) برقم (٦٤٢٥).

(١٢١) رواه الترمذي في جامعه الكبير (٦٣٣/٤) برقم (٢٤٥٠) وقال: [حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر] والحاكم في مستدركه (٣٤٣/٤) برقم (٧٨٥١) وقال: [صحيح الإسناد ولم يخرّجاه].

(١٢٢) ذكرها أبو علي القالي في الأمالي في لغة العرب (١١٢/١-١١٣)، ونسبها لبعض العرب.

(١٢٣) انظر في نشأة القول بخلق القرآن: اشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/٤٢١-٤٢٨) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/٢٠-٢١) و (١٢/٥٠٢-٥٠٣) والبداية والنهاية لابن كثير (٩/٣٥٠) وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٧٩٤-٧٩٥.

(١٢٤) انظر في سيرته: الفصل لابن حزم (٥/٧٣) والملل والنحل للشهرستاني (١/٨٥-٨٦) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٦/٢٦-٢٧).

(١٢٥) انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/٣٣٨) والفرْق بين الفرَق لعبدالقاهر البغدادي ص٢٩٧-٢٩٨.

(١٢٦) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة (٤/٢٩٩) و (٤/٣١٩) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/١٨٦-١٨٧) والبداية والنهاية لابن كثير (٩/٣٤).

(١٢٧) تقدم قريباً كلام ابن حجر وابن تيمية رحمهما الله عن أثر علم الكلام على المسلمين.

(١٢٨) من الأمثلة على ذلك: كشفت دراسة أكاديمية نشرت عام ٢٠١٧ م أن نصف السكان تقريبا في بريطانيا بدون ديانة في ضوء تراجع نسبة المسيحيين مقابل تصاعد عدد المسلمين. انظر على شبكة الإنترنت دراسة بعنوان: (المسيحية تتراجع في بريطانيا والإسلام سيصبح الديانة الأولى في العالم).

فهرس المراجع:

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة، تحقيق: عثمان الأثيوبي-رضا نعسان-يوسف الوابل، دار الراية، الرياض ط٢/١٤١٥ هـ.

٢. إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٣. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني، تحقيق: أحمد السايح وتوفيق وهبة، مكتبة الثقافة، القاهرة، ط١/١٤٣٠هـ.

٤. الاستقامة لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط١/١٤٠٣هـ.

٥. الاعتصام للشاطبي، تحقيق: محمد الشقير وسعد آل حميد وهشام الصيني، نشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ط١/١٤٢٩هـ .

٦. اعتقاد أهل السنة لأبي بكر الإسماعيلي، تحقيق: جمال عزون، نشر: دار ابن حزم، الرياض، ط١/١٤٢٠هـ.

٧. الأمالي في لغة العرب لأبي علي القالي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ.

٨. الأمر بالعزلة في آخر الزمان لابن الوزير اليمني، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ط١/١٩٩٠ – ١٩٩١م.

٩. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٠. إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة، مراجعة: محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

١١. الإيمان ومعالمه وسننه لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٢. البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، نشر: دار هجر، ط١/ ١٤١٨ هـ.
١٣. بدائع الفوائد لابن القيم، تحقيق: علي العمران، نشر: دار عالم الفوائد، مكة، ط١/ ١٤٢٥ هـ.
١٤. بيان فضل علم السلف لابن رجب، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١/١٤١٦هـ.
١٥. تحفة المريد على جوهرة التوحيد لإبراهيم البيجوري، صححه: عبدالله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/١٤٢٤ هـ.
١٦. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني، نشر: عالم الكتب، بيروت، ط٢/ ١٤٠٣ هـ.
١٧. التعريفات للجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٣هـ.
١٨. تلبيس إبليس لابن الجوزي، نشر: دار الفكر، بيروت، ط١/١٤٢١هـ.
١٩. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لمحمد بن أحمد الملطي، تحقيق: يمان المياديني، رمادي للنشر، الدمام، ط١/١٤١٤هـ.
٢٠. التوحيد لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: فتح الله خليف، نشر: دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.
٢١. الجامع الصحيح للبخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، نشر: دار طوق النجاة، ط١/١٤٢٢هـ.
٢٢. جامع العلوم والحكم لابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤٢٢/٧هـ.
٢٣. الجامع الكبير للترمذي، تحقيق: بشار عواد، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م.
٢٤. الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني، تحقيق: محمد بن محمود أبو رحيم، نشر: دار الراية، الرياض، ط١/١٤١١هـ.
٢٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، نشر: السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ.
٢٦. ديوان أبي الفتح البستي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
٢٧. ذم الكلام وأهله لأبي إسماعيل الهروي، تحقيق: عبد الله بن محمد الأنصاري، نشر: مكتبة الغرباء الأثرية، ط١/١٤١٩هـ.
٢٨. الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف، نشر: دار المعارف، القاهرة.
٢٩. السنة لابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء الكتب العربية.
٣٠. السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، نشر: دار ابن القيم، الدمام، ط١/١٤٠٦هـ.
٣١. السنن لأبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٣٢. سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، ط٣/١٤٠٥هـ.
٣٣. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لهبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط٣/١٤١٥هـ.

٣٤. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: عبد الله التركي وشعيب الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/١٤١٣هـ.

٣٥. الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرّي، تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي، نشر: دار الوطن، الرياض، ط٢/١٤٢٠هـ.

٣٦. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٧. صيد الخاطر لابن الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، نشر: دار القلم، دمشق، ط١/١٤٢٥هـ.

٣٨. طبقات الحنابلة لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار المعرفة، بيروت.

٣٩. طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، نشر: دار ابن القيم، الدمام، ط٢/١٤١٤هـ.

٤٠. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، تحقيق: زكريا علي يوسف، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١. عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي عثمان إسماعيل الصابوني، تحقيق: ناصر الجديع، دار العاصمة، الرياض، ط٢/١٤١٩ هـ.

٤٢. العقيدة الواسطية لابن تيمية، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، نشر: أضواء السلف، الرياض، ط٢/١٤٢٠هـ.

٤٣. عوارف المعارف لشهاب الدين السهروردي، تحقيق: أحمد السايح وتوفيق وهبة، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١/١٤٢٧هـ.

٤٤. الغنية لطالبي طريق الحق لعبد القادر الجيلاني، تحقيق: صلاح بن عويضة، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٧هـ.

٤٥. فتح الباري لابن حجر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، نشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٦. الفرْق بين الفرَق لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، تعليق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط١/١٤١٥هـ.

٤٧. الفِصَل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.

٤٨. الفوائد لابن القيم، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/١٣٩٣هـ.

٤٩. قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي، تحقيق: عاصم الكيالي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/١٤٢٦هـ.

٥٠. لطائف الإشارات (تفسير القشيري) للقشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، نشر: الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط٣ .

٥١. مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، ١٤١٦هـ.

٥٢. المحجة في سير الدلجة لابن رجب، تحقيق: طلعت بن فؤاد الحلواني، نشر: الفاروق الحديثة.

٥٣. مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢/١٣٩٣هـ.

٥٤. المسند لأحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢١هـ.

٥٥. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر: اتحاد الكتاب العرب، ط١/١٤٢٣هـ.

٥٦. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: دار ابن كثير، دمشق، ط١/١٤١٧هـ.

٥٧. مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت/١٤١١هـ.

٥٨. الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٥٩. منازل السائرين لأبي إسماعيل الهروي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٦٠. ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: دار المعرفة، بيروت، ط١/١٣٨٢هـ.

٦١. النهاية في غريب الحديث والأثر للأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، نشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

- **المواقع الإلكترونية:**

١)- تقرير مؤسسة راند، عام ٢٠٠٧ م، نشر على شبكة الإنترنت بعنوان: (بناء شبكات مسلمة معتدلة).

٢)- المسيحية تتراجع في بريطانيا والإسلام سيصبح الديانة الأولى في العالم ٢٠١٧م.

٣)- (مؤتمر الشيشان)، نشر في موقع ويكيبيديا عام ٢٠١٦م

٤)- مناهج العقيدة في جامعة الأزهر: **https://azharegypt.edu.eg/?p=742**